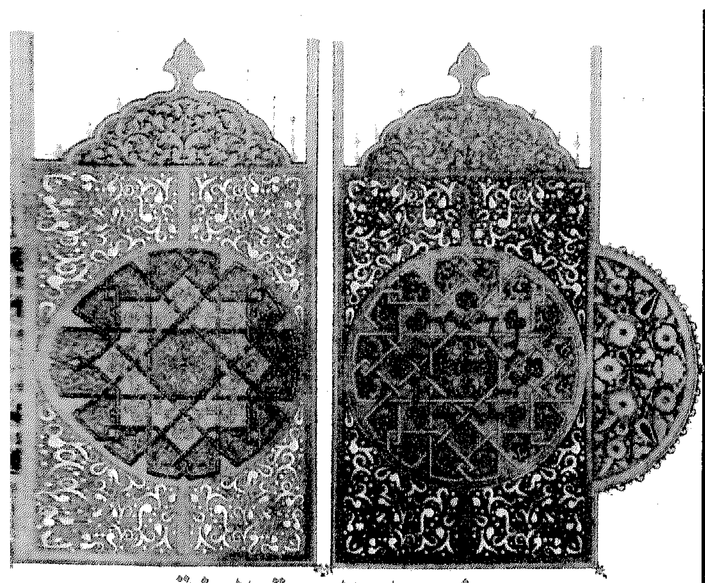
مهرجان القراءة للجميع
الأسرة

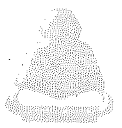


في رحاب السيرة والسنة

السيرة النبوية في القرآن الكريم

د. عبد الصبور مرزوق

الأعمال ١



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

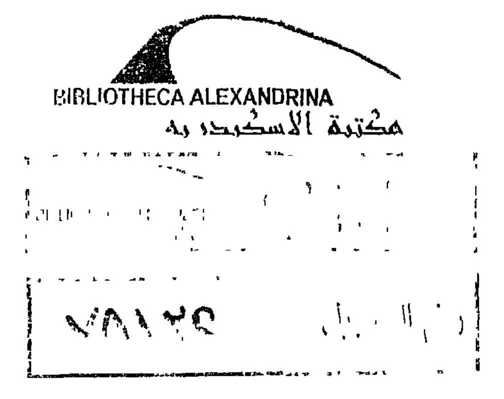




السيرة النبوية فى القرآن الكريم

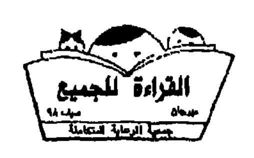


السيرة النبوية في القرآن الكريم



دراسة وتصنيف

د. عبد الصبور مرزوق



مهرجان القراءة للجميع ٩٨

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الدينية)

السيرة النبوية فى
القرآن الكريم

د. عبدالصبور مرزوق

الغلاف:

الإشراف الفنى:
محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة التنمية الريفية
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب

على سبيل التقديم

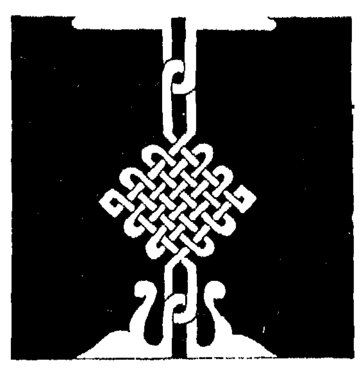
تواصل مكتبة الأسرة ٩٨ رسالتها التنويرية وأهدافها النبيلة بربط الأجيال بتراثها الحضارى المتميز منذ فجر التاريخ وإتاحة الفرصة أمام القارئ للتواصل مع الثقافات الأخرى، لأن الكتاب مصدر الثقافة الخالد هو قلعتنا الحصينة وسلاحنا الماضى فى مواكبة عصر المعلومات والمعرفة.

د. سمير سرحان









تقديم

معالي الأمين العام السابق لرابطة العالم الإسلامي
الشيخ محمد على الحركان
رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

فإن الاهتمام الواضح فى هذه الأيام من علماء الأمة الإسلامية ومفكريها بتدارس السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم ، لمن الأمور المبشرة بالصحوة الإسلامية المنشودة ، وعلامة من علامات الخير تدل على ما يمكن أن ننتظره فى الغد .. ذلك أن عناية الأمة الإسلامية بسيرة الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - هي عناية بهذا الدين العظيم في ماضيه وفى مستقبله .

ومراجعةُ سيرة الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - فى أي زمان ومكان إنما هي فى الحقيقة مراجعة لموقف الأمة من دينها ومن أوامر ربها ونواهيه ، ومن طبيعة دورها الذى أراده لها الله .

فتنظر الأمة فى السيرة وتتطلع إلى واقعها لترى البون الشاسع بين ما هي مقيمة عليه وبين ما يطالبُها به الدين .. ولترى كذلك مدى الفارق الكبير بين ما كان عليه سلفنا الصالح العظيم وبين ما انتهينا إليه .

☆ ☆ ☆

ومهما يكن ما تخرجه المطابع من بحوث وذراسات لتذكير المسلمين وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم ..

فلن يكون ثمّة كتابٌ بعد كتاب الله - تبارك وتعالى - أنفعَ لهذه الأمة وأقوى أثراً في شحذ وجدان شبابها ، وتبصير رجالها وقادتها من سيرة الرسول وسنته - صلوات الله وسلامه عليه - ..

بما تقدم بين أيدينا من صور الإباء والفداء ، ومن نماذج الإيمان والتضحية والصبر على متاعب الدعوة في سمو عجيب يحار في وصفه وتعليله الواصفون .

☆ ☆ ☆

وحسبُ السيرة النبوية الشريفة أنها تقدم بين يدي العالم كله كتاب ذلك اليتيم الفقير الذى جاء البشرية على

فترة من الرسل ، فأخرجها من الظلمات إلى النور ، ونقلها من عبادة الطواغيت بكل صورها ونماذجها إلى عبادة الرحمن .

حسب السيرة النبوية الشريفة أنها تسجل لنا معشر المسلمين ملامح خير أمة أخرجت للناس تتلاشى بينهم الأحساب والألقاب ، وتندثر العصبيات والنزعات وتتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ولا يكون لعربي فضل على عجمي إلا بما يعمر القلب من التقوى ومن سمات الإيمان .

حسب هذه السيرة أن الذين يريدون أن يصنعوا الرجال أو يعيدوا بناء الأمم لن يجدوا في غيرها بغيتهم ، ولن يكون ثمة دليلٌ أصدق ولا أهدى في التخطيط والتنفيذ أعظم من هذا الدليل .

لقد كان العرب - كما شهد غير واحد من غير المسلمين - قوماً يضربون فى الصحراء عدة قرون لا يؤبه لهم ، فلما جاءهم النبي العربي - صلوات الله وسلامه عليه - أصبحوا قبلة الأنظار في العلوم والمعرفة ، وكثروا بعد قلة ، وعزوا بعد ذلة ، ولم يمض قرن من الزمان حتى استضاءت أطرافُ الأرض بما قدموا من علوم .. وما علموه للناس من قيم ومباديء .

هكذا كان العرب قبل البعثة النبوية ، وهكذا أصبح المسلمون في جاهلية اليوم لا يكادون يملكون من شئون أنفسهم ما ينبغي لهم أن يملكوه ، ولا يكادون يملكون من أمر هذا العالم حتى مجرد أن يكون لهم رأى يؤبه له بين الآراء .. وبتنا وكأن هامش الحياة هو المكان المخصص لنا على خريطة الكون ، وكأننا نحن الذين عناهم الشاعر حين قال :

وَيُقْضَى الأَمْر حينَ تغيبُ تَيْمٌ
ولا يُستــأذنــونَ وهُمْ شُهــودُ

وإذا كان فجر الإسلام قد محا ظلمة الجاهلية الأولى .. فلن يمحو الظلمة الغاشية في جاهلية اليوم إلا الاستمساكُ الصادق بهذا الدين ، والتأثر الكاملُ بالنبي – صلوات الله وسلامه عليه – وإعادةُ تصحيح المسار في ضوء ما حفلت به سيرته – صلوات الله عليه – من مبادىء ومثل ..

إن الاهتمام بأمر السيرة النبوية وخاصة فى هذه الأيام التى كثر فيها الافتراء والتجرؤ عليها .. ليس اهتماماً بكتاب من الكتب ، ولا وقوفاً فى المناسبات أمام التاريخ الشخصى لعظيم من العظماء .

وإنما هو مراجعة شاملة لتاريخ هذه الأمة كيف نشأت ؟

وعلى أي المبادىء صيغت ؟

ومن أين تجمعت لها أسباب البقاء والانتصار ؟ ..

فالاهتمام بالسيرة مراجعة واجبة ومطلوبة دائماً لمعالم الطريق الذي أصبحنا به أمة .. وبغيره لن يكون لنا وجود ولا تاريخ .

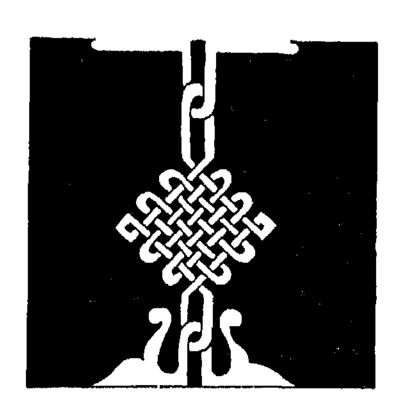
ولقد سبق للأمانة العامة للرابطة أن اشتركت بهذا البحث في « المؤتمر العالمي الثالث للسيرة النبوية » الذي عقد بمدينة الدوحة في إمارة قطر الشقيق في الفترة ما بين ١ - ٣ المحرم ١٤٠٠ هـ . واشترك في مناقشته لفيف من العلماء وذوى الاختصاص .

وعلى الرغم مما حظي به من ثناء فإن مؤلفه الأستاذ الدكتور عبد الصبور مرزوق كان ولا يزال يرى أن الموضوع أكبر من وقته ومن عزمه وأنه محتاج إلى جهود متفرغة من المتخصصين ، ومن ثم فهو يرجو من قرائه وأصدقائه أن يصوّبوا بعلمهم ما قد يصادفون من خطأ وأن يسددوا بفضلهم ما قد يصادفون من قصور .

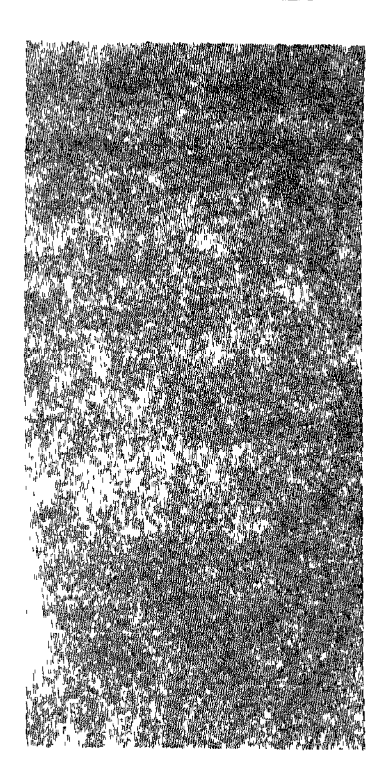
بيد أن البحث مع هذا وكما قرره أكثر الذين ناقشوه يمثل منحىً جديداً في دراسة السيرة النبوية جديراً بالاهتمام ، وحسبه أن تجد الواقعة في التاريخ سنداً من آيات القرآن لتكون برهاناً على صدق روايتها إلى آخر الزمان .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

محمد على الحركان



مقدمة



كان تناولنا لموضوع هذا البحث « السيرة النبوية فى القرآن الكريم » كما هو واضح فى الدراسة المرفقة - كاشفاً لأمور بالغة الدلالة فيما يتصل بدراسة السيرة النبوية من ناحية وما يتصل بدراسة سمات وخصائص هذه الدعوة من ناحية ثانية .

☆ ☆ ☆

فأما ما يتصل بدراسة السيرة النبوية فقد اتضح لنا :

● أولا : إن كتب السيرة النبوية على وفائها وشمولها ووقوفها بالتفصيل أمام الأحداث والوقائع فى حياة الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - ..

فإنها مع هذا كله لم تكد فى معظم حالاتها تجاوز ما جاء عن الوقائع والأحداث نفسها فى القرآن الكريم .

ونشير على سبيل المثال إلى ما تضمنته كتب السيرة من وقائع غزوة الأحزاب وما أحاط بها من ظروف بالغة الصعوبة على المسلمين حتى نجم النفاق وأرجف المرجفون ..

وقائع هذه الغزوة قد سجلها القرآن الكريم على نحو بالغ الدقة والإبداع فى آيات سورة الأحزاب ..

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾
إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ
ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ
وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ
يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ
يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾
وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟
بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ
وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ ﴾ (١)

إلى غيرها من الآيات التى وصفت ما عاناه المسلمون ، وما أنزلته بهم محنة الأحزاب من بأس لم يكونوا فى مستوى التصدى له . لولا أن ربط الله على القلوب وأيدهم بنصر من عنده ..

☆ ☆ ☆

● **ثانيا** : إن كتب السيرة – فى مجملها – وقفت عند حد

---

(١) الأحزاب : الآيات من ٩ – ١٥ .

تسجيل الوقائع والأحداث ووُفّقت فى ذلك إلى حد بعيد بحيث بات لدينا سجل حافل بكل ما نحتاج إليه لتتبع مراحل الدعوة ، وتفاصيل أحداثها ومواقف رجال الصدر الأول فيها ، ومواقف أعدائها والمترددين فيها من أهل النفاق .. فكل هذا وفره لنا أصحاب السِّيَرِ - رحمهم الله - وجزاهم خيرا .

لكن تقييم هذه الأحداث وتقديرها والحكم عليها .. هو ما انفرد به القرآن الكريم . فى المواطن التى تعرض فيها لذكر هذه الأحداث والوقائع .

وعلى سبيل المثال أيضاً ؛ فإن ما ورد فى القرآن الكريم عن « **حديث الإفك** » فى سورة النور قد امتاز إلى جانب الوصف والتسجيل بالتقييم والحكم .

وذلك حيث قرر القرآن منذ البداية ، أن ما قيل وما يقال حول هذا الموضوع إنما هو إفكٌ وافتراء ، خرجت به جماعة المنافقين والمرجفين فى المدينة يريدون بالرسول وبالدعوة كلها شراً .. بدليل أنهم تلقفوا الفِرْيةَ من غير أن يتدبروها ويستوثقوا من عدالة قائليها ، وأيضاً من غير أن يطلبوا البينة عليها وهو أبسط ما يطلبه المنصف لنفسه وللناس .

وفوق هذا فقد فات هؤلاء المرجفين بأهل بيت رسول الله ﷺ أن يضعوا أنفسهم وبيوتهم فى مثل هذا الموقف ويروا ماذا كان ينبغى لهم أن يفعلوه لو كانوا منصفين .. وذلك حيث يقول سبحانه :

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ
لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ
مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾
لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ (١)

☆ ☆ ☆

● ثالثاً : إن الحدث الذى ترويه كتب السيرة يبقى مجرد حدث مرتبط بزمانه ومكانه وأشخاصه .

لكنه عندما يروى فى القرآن الكريم يتحول إلى درس كبير يتجاوز ظروف الحدث مكاناً وزماناً وأشخاصاً إلى حيث يصبح قضية عامة ومبدأً يعامل به كل المسلمين فى كل زمان وكل مكان متى تشابهت ظروفهم وظروف هذا الحدث الخاص .

ونستفيد بالمثال الذى بين أيدينا من حديث الإفك .. الذى انتقل القرآن الكريم من الوقوف أمامه كحدث بعينه فى ظروف خاصة إلى اعتباره قضية من قضايا صيانة عرض المسلم ووجوب

---

(١) النور : الآيات ١١ – ١٣ .

توفير الحماية له ، واعتبار من يشيع الفاحشة فى مجتمع المسلمين أو ينال من أعراض المحصنات الغافلات .. بغير دليل يقيني - هو أربعة شهود عدول - اعتبار ذلك من الأمور الخطيرة عند الله والتى يجب اعتبار من يفعلها من المفسدين لمجتمع الإسلام الذين تجب حمايته منهم فى الدنيا بالحد ، ومعاقبتهم فى الآخرة بأشد العذاب على نحو ما قال سبحانه :

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (١)

---

(١) النور : الآيات من ١٥ - ١٩ .

إلى قوله :

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢) إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥)﴾ (١)

فهذا التفصيل الدقيق المقرون بالتقييم والتوجيه وتحديد التبعات والعلاقات بين الناس فى مجتمع الإسلام .. يجاوز فيه النص القرآنى بالحدث ما وقفت عنده كتب السيرة ليصبح الحدث فى ذاته مجرد مثل أو نموذج يحدد القرآن سماته ويضع له حدوده وأحكامه . بينما تفقد كتب السيرة هذه الميزة

☆ ☆ ☆

● رابعاً : ثمة أحداث عرضت لها كتب السيرة بشيء من

(١) النور : الآيات ٢٢ – ٢٥ .

التفصيل بينما آثر القرآن الكريم فيها التعميم والإجمال . وذلك لحكمة إلهية تقتضى الإيجاز وتكتفى بتقرير الحدث .

من ذلك ما جاء فى القرآن الكريم عن حادث « الإسراء » حيث لم يزد ما ورد بشأنه عن آية واحدة فى مفتتح سورة الإسراء :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ (١) ﴾

وآية أخرى فى سورة الإسراء هي قوله تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ (٢) ﴾

☆ ☆ ☆

ومن ذلك أيضاً ما جاء بشأن ما حدث بين الرسول وزوجاته والذى تحدث عنه القرآن فى سورة التحريم :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ (٣) ﴾

(١) الإسراء : الآية الأولى .
(٢) الإسراء : الآية ٦٠ .
(٣) التحريم : الآية الأولى .

فليس من شأن القرآن أن يعنى بما لا تجب العناية به من التفاصيل .. وحسب القرآن – كما أشرنا – أن يحقق الواقعة ويؤكد حدوثها ويترك للناس التفاصيل يختلفون من حولها ، ما يشاؤون .

☆ ☆ ☆

● خامساً : على عكس ما سبق هناك أحداثٌ أوجزتها كتب السيرة النبوية بينما فصلها القرآن . **فاستوعب الحدث ونتيجته وقرر الحكم الذى يترتب عليه .**

على سبيل المثال فإن ما جاء فى كتب السيرة بشأن تبنى رسول الله ﷺ – زيد بن حارثة ، فهو قليل بالقياس إلى ما ورد فى القرآن الكريم .. الذى عنى بتحديد العلاقة بين الآباء والأبناء بالتبنى .

وكان أهل الجاهلية لا يجيزون زواج الأب من زوجة ابنه بالتبنى إذا فارقها الابن .. فقرر الإسلام بشأنها حكمهُ الجديد الصحيح .

وأيضاً فقد كان زواج النبي – ﷺ – من (زينب بنت جحش) مثار جدل وحديث طويل بدأه المشركون والمنافقون على أيامهم ، وظل المرجفون حتى عصرنا الحاضر يلوكونه ويخوضون فيه .

ومع أن السيرة لم تعطه حقه من التفصيل فقد نَفَذَ فيه القرآن الكريم إلى أعماقه ، بل لقد نشر على الناس أمره حتى مخاوف الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – مما يمكن أن يقول الناس فيه .. وذلك فى قوله تعالى : فى سورة الأحزاب :

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَـٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾ (١) .

ثم قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ

(١) الأحزاب : الآيتان : ٤ – ٥ .

أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على
المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان
أمر الله مفعولا (٣٧) ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له
سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا (٣٨)
الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله
وكفى بالله حسيبا (٣٩) ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن
رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما (٤٠) ﴾ [١] .

☆ ☆ ☆

● **سادساً :** قد انفرد القرآن الكريم بالحديث عن كثير من صفات النبوة وخصائصها بالنسبة لرسولنا - صلوات الله وسلامه عليه - مما لم يرد ذكره فى كتب السيرة .

من ذلك مثلا : حديث القرآن عن عموم رسالته - ﷺ - إلى الناس كافة ، وأنه رحمة مهداة إلى الناس أجمعين . وذلك فى مثل وقوله تعالى :

﴿ قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين (٩٠) ﴾ [٢] .

وقوله تعالى :

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (١٠٧) ﴾ [٣] .

---

(١) الأحزاب : الآيات ٣٧ - ٤٠ . (٢) الأنعام : الآية ٩٠ . (٣) الأنبياء : الآية ١٠٧ .

وقوله :

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ (١)

وغيرها من الآيات .

☆ ☆ ☆

ومن ذلك مثلا تحديد مهمة الرسالة فى البيان للناس وفى إبلاغهم ما أرسل به إليهم وذلك فى مثل قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (٢)

وقوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (٣)

وقوله تعالى :

﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (٤)

---

(١) الفرقان الآية الأولى (٢) آل عمران : الآية ٢٠ . (٣) المائدة : الآية ٦٧ (٤) المائدة : الآية ٩٩ .

وقوله تعالى : (١)

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾

إلى غير ذلك من الآيات .

☆ ☆ ☆

ومن ذلك مثلا : تأكيد بشريته - ﷺ - وأنه ليس ملكاً من السماء وإنما بشرٌ من البشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ويجوز عليه - ﷺ - ما يجوز على الناس من النصر والهزيمة ، ومن المرض والموت ، ومن التزاوج والتناسل - إلى غير ذلك من صفات البشر .

وذلك في مثل قوله تعالى :

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ (٢) ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : (٣)

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ .

---

(١) الشورى : الآية ٤٨ . (٢) يونس : الآية ٢ . (٣) الرعد : الآية ٣٨ .

وقوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾(١)

☆ ☆ ☆

ومن ذلك مثلا : تقرير أن نبوة محمد - ﷺ - ختام النبوات والرسالات ، وأن القرآن الذى أنزل عليه مصدق لما بين يديه من الكتاب . والفيصل فيما اختلف فيه من قبله .

وذلك فى مثل قوله تعالى :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾(٢)

وقوله تعالى :

﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾(٣)

وقوله تعالى :

﴿ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾(٤)

وقوله تعالى :

﴿ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾(٥)

---

(١) الكهف : الآية ١١٠ .
(٢) الأحزاب : الآية ٤٠ .
(٣) الأنعام : الآية ٩٢ .
(٤) البقرة : الآية ٤١ .
(٥) آل عمران : الآية ٨١ .

وقوله تعالى :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ ﴾[1]

وقوله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ﴾[2]

☆ ☆ ☆

● سابعاً : لقد امتاز العرض القرآنى لأى حدث من أحداث السيرة النبوية امتاز على كل ما كتب وما سيكتب منها بالأسلوب وبالبيان المعجز الذى تكتسب الكلمات والجمل فيه حيوية دفاقة تجسم الحدث وتحيطه بالإيحاءات والظلال ، وتنقل القارىء والمستمع إلى جوه وكأنما يعيشه أو يشارك فيه ، وذلك ما لم يتوفر وما لن يتوفر لأيٍّ من كتب السيرة فى القديم والحديث .

ولنقف معاً على سبيل المثال أمام قول الحق تبارك وتعالى : فى سورة الأحزاب واصفاً مفاجأة المشركين وحلفائهم للنبى - ﷺ - وأصحابه فى عقر دارهم بالمدينة وما كان لذلك من أثر على حالة المؤمنين فيقول :

---

(١) المائدة : الآية ٤٨ .

(٢) فاطر : الآية ٣١ .

﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ [1] ﴾ .

فلست أعتقد أن بوسع الكلمات مهما أوتيت أن تبلغ فى تصوير هذه الإحاطة المخيفة المفزعة لجيوش المشركين بقوات المؤمنين المحصورة فى المدينة أكثر مما بلغته هذه الآيات .. أو حتى تقترب منه .

جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم .

.. إنها القارعة إذن . فلا مفر

وها هو المصير الرهيب الذى فر المهاجرون من مواجهته فى مكة .. يلاحقهم فى عقر دارهم بالمدينة حيث لا مهرب ولا مناص .

ولست أعتقد كذلك أن بوسع الكلمات مهما أوتيت أن تبلغ فى تصوير فزع المسلمين واضطرابهم من مثل هذه الآية :﴿ وبلغت القلوب الحناجر ﴾

فما الذى يبقى من النفس إذا انخلعت القلوب من أماكنها كأنما توشك هى الأخرى أن تفر هربا قبل أن يدركها المهاجون ؟ !!

---

(١) الأحزاب الآيتان : ١٠ - ١١

إن هذا الموقف العصيب - كما صورته الآية - أثره الذى لابد منه على طمأنينة النفس وعلى ثقتها فى كل ماكانت تسكن إليه وتثق به من قبل .

ولذا كان ختامها :

« وتظنون بالله الظنونا » كان هذا الختام من أعظم التعبيرات صدقًا فى الوصف والتصوير والدلالة .

وهذا - كما قلت - ما لا يمكن أن تبلغه الكلمات فى غير بيان القرآن .

☆ ☆ ☆

● **ثامناً** : إذا كانت كتب السيرة تقف فى تسجيلاتها عند ظواهر الأحداث والتصرفات .. لأنها لا تملك النفاذ إلى ما وراء ذلك ، فإن ما جاء عن السيرة فى القرآن الكريم يمتاز بالحديث عما وراء الظاهر ، حيث أنه بميزة الوحي الإلهي إلى النبي - ﷺ - يستطيع استبطان الأحداث والأشخاص وكشف ما فى أعماقهم وتقديمه للناس .

من ذلك مثلاً حديث القرآن عن المنافقين .

وقد جاء حديثهم هذا مثبوتًا فى كتب السيرة فى شكل تصرفات ومواقف كانوا يقفونها من الرسول - ﷺ - والمسلمين ، فإذا خوطبوا بشأنها قدموا العلل والمعاذير .. كما وقع عند استئذان بعضهم من رسول الله - ﷺ - يوم الأحزاب فى الرجوع

إلى بيوتهم بحجة أنها عورة وأنها مكشوفة للعدو .. وقد أذن لهم .

فلما جاء القرآن فتحدث عنهم كشف الحقيقة فى هذا الاعتذار الكاذب فقال :

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ (١)

ثم يزيد القرآن فى كشف الخبيء من أعماقهم ويبين أنهم لم يخرجوا لحماية أهليهم حتى لا يأخذهم المشركون والكفار كما زعموا .

بل إنهم هم أنفسهم على استعداد تام للاستسلام للكفر والارتداد عن الحق عند أبسط اختبار وذلك فى قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ ﴾ (٢) .

☆ ☆ ☆

● **تاسعاً :** إذا كانت كتب السيرة النبوية قد عرضت فى تفاصيلها للكثير من حالات الناس ومواقفهم بين مرتبتي الإيمان والكفر وما بينهما من تردد أو نفاق .. فهي قد عرضت ذلك

---

(١) الأحزاب : الآية ١٣ .

(٢) الأحزاب : الآية ١٤ – ١٥ .

مبثوثاً فى مواقعه وحسب زمان الحدث ومكانه ، من غير أن تقرن الحالات وتضمها إلى بعضها بما يشكل منها آخر الأمر نموذجاً فيه السمات والخصائص .

إذا كانت كتب السيرة قد فعلت ذلك فقد كان للقرآن أسلوب آخر ، جمع فيه سمات النموذج المتشابه بعضها إلى بعض ، وقدمها للناس فى أدق صورة .

وعلى سبيل المثال إذا كانت كتب السيرة قد تحدثت عن أخلاق أهل الإيمان من أصحاب الرسول - ﷺ - ووصفت الكثير من شمائلهم مكتفية بذلك .

ففى القرآن الكريم ترى ملامح هذه الشخصيات مرسومة في بعض سور القرآن ليقتدى بها من شاء على نحو ما نجده فى أول سورة « المؤمنون » حيث تجتمع فى السورة عشر آيات متصلة تبين خصائص هؤلاء وما ينبغى أن يكون عليه من يحب أن يكون منهم وذلك فى قوله تعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ

غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾
وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ (١) ﴾

ومثله كذلك حديث القرآن عن نموذج « عباد الرحمن » فى سورة الفرقان :

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ
يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾
وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ
عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا
وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ
قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ
ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾
يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ

---

(١) المؤمنون : الآيات ١ - ١٠ .

إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ
مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا
صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا
قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟
وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا ﴿٧٥﴾(١) ﴾

☆ ☆ ☆

وفى الجانب الآخر نجد الوصف الدقيق لسمات المنافقين وخصائصهم فى سورة بأكملها تحمل اسمهم فى القرآن وتتحدث بالتفصيل عنهم .

ومع أن تصرفات المنافقين والمؤمنين جميعاً قد سجلت فى كتب السيرة .. لكنها سجلت كحالات فردية .. لا كنماذج يمكن التعرف عليها بوضوح كما صور القرآن .

☆ ☆ ☆

● **عاشراً** : إذا كانت كتب السيرة – على اختلاف مؤلفيها واختلاف وجهاتها فى التناول – قابلةً لأن تضم بين طياتها خبراً غير صحيح ، أو رواية مشكوكاً فيها أو استنتاجاً غير صدق .

إذا كانت كتب السيرة قابلة لذلك .. فإن ما يجىء من حديث السيرة النبوية فى القرآن الكريم هو القول الفصل الذى

(١) الفرقان : الآيات ٦٣ – ٧٥ .

لاشك فيه ولا اضطراب .. وهو وحده المرجع الأعظم الذى تصحح به المراجع ، وتعرض على مقياسه السير والتواريخ .

هذا كله هو بعض ما نخرج به من ملاحظات على السيرة النبوية إذا درست فى ضوء القرآن الكريم .

☆ ☆ ☆

أما ما تعطينا إياه مثل هذه الدراسة مما نحن فعلا فى أشد الحاجة إليه لترشيد خطانا فى مجال الدعوة ، فذلك ما نوجزه فيما يلى :

أولا - الدعوة إيمان وعمل وليست كلمات وشعارات :

وهذا المبدأ الأساسى الهام يلتقى القرآن الكريم والسنة النبوية فى تأكيده والإعلان المستمر عن أهميته فى كل مناسبة . وذلك فى مثل قوله تعالى :

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ ﴾ (١)

وقوله تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ (٢)

(١) الحجرات : من الآية ١٤ . (٢) التوبة من الآية ١٩ .

وقوله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾(١).

وقوله تعالى :

﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ ﴾(٢)

☆ ☆ ☆

والنماذج من السيرة تشرح ما تجمله الآيات .

فهؤلاء أعراب من بنى أسد بن خزيمة يظهرون الشهادتين ويقدمون بها على رسول الله مطالبين بالنفقات والصدقات ويمنون على الرسول أنهم دخلوا فى دينه .. وما هكذا الإسلام فيأتى القرآن ليصحح لهم الفهم ويقوّم المعيار فيقول :

---

(١) التوبة : الآية ٣٨ .

(٢) النساء : الآية ٩٥ .

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (١)

☆☆☆

ونموذج آخر من أولئك الذين افتخروا بأنهم سدنة البيت وعمّاره وبأيديهم مفاتيحه يجب أن يعلموا أن هذا الأمر على فضله - أدنى بكثير من الجهاد فى سبيل الله - لأن الاهتمام بالبيت ينبع من الطمأنينة ويتم فى الرخاء ، بينما الجهاد فى سبيل الله عناء وفداء وبذل لأقصى ما يجود به إنسان .. ثم هو قبل هذا دفاع عن العقيدة وابتلاء من أجل انتشارها فى الأرض .. وذلك فى قوله تعالى :

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ (٢)

وهكذا بقية النماذج التى يتعاون القرآن والسيرة على تأكيد مثلها فى الناس .

---

(١) الحجرات : الآية ١٧ . (٢) التوبة من الآية ١٩ .

ثانيا - الدعوة قدوة وأسوة وليست تبليغاً بدون التزام :

وكذلك تلتقى السيرة النبوية بالقرآن الكريم فى تأكيد هذا المبدأ . وذلك فى مثل قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (٢)

---

(١) التوبة : الآيتان ١٢٨ - ١٢٩ .

(٢) الفتح : الآية ٢٩ .

وما حفلت به السيرة من شمائل الرسول - صلوات الله عليه - فى غير حاجة إلى إعادة .

فقد كان أعظم أصحابه بل أعظم الناس طرًّا خوفاً من الله ورعاية لحقوقه وعبادة له .

وكان أكثر أصحابه بل أكثر الناس طرا تشديداً على نفسه وتكليفاً لها بما لا يطلبه من الآخرين .

وكان قبل هذا كله أرفق الناس بالناس وأشدَّهم عطفاً على المستضعفين وأخفضهم جناحاً لمن اتبعه من المؤمنين .

ولهذا تمكنت محبته - ﷺ - من القلوب ، وكان الصحابة من حوله على استعداد حقيقى لافتدائه بآبائهم وأمهاتهم وأنفسهم . ولعل ما فعلته أم عمارة الأنصارية يوم أُحد وهي امرأة ضعيفة الجانب .. ما فعلته يوم أُحد دفاعاً عن رسول الله - ﷺ - وقتالها دونه لجدير بأن يستلفت القادة فى كل مكان إلى ما يمكن أن يصنعه حب القائد فى وجدان أتباعه .

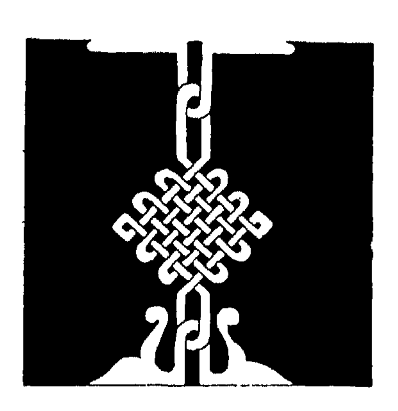
ولعل إيثار زيد بن حارثة - رضي الله عنه - لمحمد - ﷺ - على أبيه وقومه لجدير بأن يكتب فى أعجب وأعظم صفحات التاريخ دليلا على ما امتازت به الشخصية المحمدية من صفات تستوجب من الحب ما يغلب عواطف الأبناء نحو الآباء .

كل هذا لأن المصطفى - صلوات الله عليه - كان مثلا بشرياً لكل سماحة الإسلام يمشى على قدمين .. فأحبه الناس وأحبوا فيه دينه ودعوته .

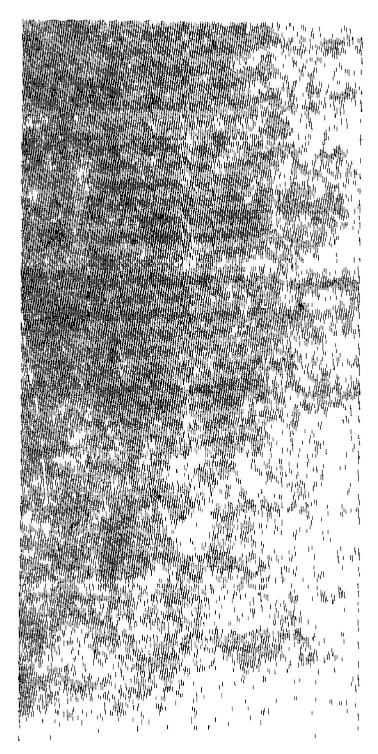
وهكذا ينبغى أن تكون الدعوة .

وقبل أن أخلّى بين القارىء الكريم وبين هذه الدراسة أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل العمل خالصاً لوجهه وأن يرحم والديّ كما ربيّانى صغيراً .

عبد الصبور



تمهيد
صورة المجتمع الجاهلى فى القرآن الكريم



تدل الإشارات الواردة فى القرآن الكريم على أن هذا المجتمع الجاهلى كان مؤسساً على مجموعة من الأعراف والتقاليد وإن تكن ذات قيمة حضارية محدودة ، لكنها كانت غير صالحة للاستمرار ، حتى ولو لم يظهر الإسلام فى هذه المنطقة ويحدث من التغيير ما أحدث ؛ ذلك لأنها فى جملتها باستثناء الكرم والشجاعة وإباء الضيم كانت تُدْخِل فى تقويم الإنسان أموراً خارجة عن جوهر الذات ، وما ليس من الذات قابلٌ أبداً للفناء والاندثار .

من ذلك مثلا هذه المغالاة المفرطة فى الاعتداد بالأحساب والأنساب ، والتكاثر الغريب بالأموال والسطوة القبلية وكلها أعراض خارجة عن حدود فضائل النفس يهتمون بها . دون نظر إلى القيمة الحقيقية التى يمتاز بها إنسانٌ عن إنسان ، والقيمة الحقيقية للإنسان قيمة داخلية تقوم على ما يتوفر له من فضائل النفس ومقومات بقائها ونموها واستمرار عطائها للحياة .

ولذا أنكر القرآن عليهم ذلك فى قوله سبحانه :

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ ﴾(١)

---

(١) التكاثر : الآيتان ١ – ٢

وقد انعكس ، هذا الانحراف الفكرى لديهم على تصورهم الغريب لطبيعة النبوة ظانين أنها كأمر شريف لا يصح أن يتولاه إلا العظماء حسب أعرافهم .. أى الأغنياء ذوو العصبيات والأحساب فقالوا - كما تحدث القرآن :

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ (١)

وقد صحح الإسلام هذه النظرة الخاطئة وانتقل بمعيار التقويم من خارج النفس إلى داخلها وجوهرها ؛ وذلك حين اعتبر التقوى أساس التميز والتفاضل بين الناس وذلك فى قوله تبارك وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (٢)

كما صحح لهم نظرتهم الخاطئة فى قضية النبوة فقرر لهم أن الغنى وعصبيات القبيلة إذا صلحا معياراً للتفاضل فى بعض أمور الدنيا فإنهما لا يصلحان للتفاضل فى أمور النبوات والرسالات .. لأن للأخيرة معياراً ربانياً آخر ذكره القرآن الكريم فى قوله تبارك وتعالى رداً عليهم :

---

(١) الزخرف : الآيتان ٣١ - ٣٢ .
(٢) الحجرات : الآية ١٣ .

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) ﴾ (١)

ومن الجدير بالملاحظة أن اعتبار التميز المادي مقياساً للتفاضل فى الجاهلية العربية جاء مماثلا لنظيره فى الجاهلية الفرعونية عندما أُرسل موسى - عليه السلام - إلى فرعون وملئه فلقيه فرعون بمنطق جاهليٍّ ينظر إلى الإنسان بمعيار خارج عن جوهر الإنسان ، وصوّرت له معاييره الجاهلية أنه خيرٌ من موسى - عليه السلام - لأنّ له ملك مصر وتجرى من تحته الأنهار بينما لا يملك موسى - عليه السلام - شيئاً من ذلك ، وليس بيديه حتى ولا أسورة من ذهب ، ولذا قال فرعون : قولته المشهورة التى حكاها القرآن : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣) ﴾ (٢)

☆ ☆ ☆

ومن سمات الجاهلية التى تحدث عنها القرآن الكريم منكراً على أصحابها استمرارهم عليها : سمتان بارزتان :

---

(١) الرحرف . الآية ٣٢ .
(٢) الزخرف : الآيات ٥١ - ٥٣ .

(**أولاهما**) الخضوع الكامل لحمية الجاهلية ونزعات الغضب الحمقاء وما تصنعه في الأفراد والجماعات من انحراف فى التفكير والسلوك واندفاع إلى التدمير والعنف .

الأمر الذى ظهر بوضوح فى نشوب الحروب والعداوات بين أصحاب الجاهلية لأتفه الأسباب ، ربما من أجل كلمة عابرة ، وربما من أجل قبضة من الكلأ يقضمها حيوان أعجم من أرض محمية لقبيلة من القبائل لإنسان من الناس .

وربما من أجل العناد الأجوف الذى لا يدل على شيء سوى فراغ رؤوس أصحابه من اليقين الذى يصنع الاتزان فى التفكير والسلوك .

والثانية) من سمات هذه الجاهلية - وما تزال مع الأسف موجودة فى عصرنا وفاشية - وهي القصور التام فى تصور علاقة الإنسان بالكون والله سبحانه خالق هذا الكون .

فأصحاب الجاهلية الأولى ، وكل الجاهليات يقيمون الأمور فى دنياهم على أساس العلاقة بين السبب والمسبب ، أو بين العلة والمعلول .. غافلين عن الخالق والمدبر الأعظم لهذا الكون ، والذى يستطيع وحده - سبحانه - أن يقطع العلاقة بين الأسباب ومسبباتها أو يوجد المعلول من غير علة .. وهذه الغفلة عن الخالق - سبحانه - سمة بارزة من سمات أصحاب التفكير المادى .

- على اختلاف مستوياته - والتى يعجز أصحابها عن الارتقاء إلى

ما وراء معطيات الحس البشرى المحدود .

ولذا أنكر القرآن الكريم أن تستمر هذه الجاهلية فى مجتمع الإسلام فى آيات تصف مواقف كثيرة ومختلفة منها قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾[1]

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴾[2]

وقوله تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[3]

---

(١) آل عمران : الآية ١٥٤ . (٢) المائدة : من الآية ٤٩ . (٣) المائدة : الآية ٥٠ .

ومنها كذلك قوله تعالى : فى سورة الفتح مشيراً إلى موقف العناد البغيض الأجوف الذى. وقفه المشركون من الرسول وصحبه - صلوات الله عليه - يوم الحديبية وذلك فى قوله تعالى :

﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾[1]

وصدق الله .. لقد كان المؤمنون يوم الحديبية أحق بما أنزل الله عليهم من سكينته ؛ لأنهم بالإيمان قد خرجوا من وطأة الجاهلية بحماقاتها الجوفاء التى تمنع - لمجرد العناد - المحلقين المقصرين المسالمين من زيارة بيت الله[2] . أو التى تقيم الحروب أربعين عاماً متوالية ؛ لأن رجلا رمى ناقة فجرحها على ما هو مشهور فى قصة حرب البسوس[3] .

☆ ☆ ☆

ولقد استطاع الإسلام أن يمحو آثار هذه الجاهلية من نفوس

---

(١) الفتح : من الآية ٢٦ .

(٢) انظر : سيرة ابن كثير بتحقيق د . مصطفى عبد الواحد ج ٣ ص ٣١٩ وما بعدها ، وانظر : ابن هشام ج ١ ص ٣٢٨ - ٣٣٠ بتحقيق مصطفى السقا والإبيارى وعبد الحفيظ شلبى .

(٣) راجع أيام العرب للأستاذ على البجاوى ، وحرب داحس والغبراء وحرب البسوس وغيرها .

العرب منذ ظهوره ، ويَحلُّ محلها قيمَةُ الرفيعة المتسامية التى أتاحت لبلال - رضي الله عنه - ونظرائه من المستضعفين أن يسبقوا الأغنياء وأصحاب الثراء .. واستمر ذلك طوال عصر النبوة والراشدين - رضي الله عنهم - ؟

فلما دخلت السياسة على الدين بعد الفتنة الكبرى إثر مصرع ذى النورين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - واستمرت عصر بنى أمية كله .

ولما دخلت الفلسفة على الفكر الإسلامى ، وأتاحت الفرصة للتأويل والتحليل والمدارس والنحل .

لما حدث ذلك جاء الاستشراق ليغلِّب الفكر التجريبى ، وليأخذ الناس بعيداً عن نقاء الإيمان .. وينزلق بهم من جديد صوب جاهلية هذا الزمان .

☆ ☆ ☆

الجاهليون والمرأة

أما عن المرأة فى هذا المجتمع فكان الجاهلي يستشعر نحوها أمرين :

الأول : الإحساس بالعار والهوان الذى عبر عنه القرآن فى قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٥٩ ﴾ (١)

والثانى : الإحساس بثقل وطأتها الاقتصادية واعتبارها عبئاً يجب التخلص منه ولو بالقتل كما قرر القرآن فى حديثه عن الموءودة : (٢)

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ ﴾

أمتهانها فى العلاقة بالرجل :

وقد عرف العرب فى الجاهلية ألواناً من الأنكحة (صور الزواج) ليس بينها إلا واحد فقط جاء على صورة تنكح فيه المرأة بخطبة وولي ومهر .. والباقى وهو الكثرة الغالبة فاسد ممعن فى الفساد . تمتهن فيه المرأة إلى أقصى حدود الامتهان مثل نكاح الاستبضاع ، ونكاح التواطؤ ، ونكاح البغايا ، ونكاح الشغار وغيرها .

روى البخارى فى صحيحه (٣) عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي - ﷺ - ورضي الله عنها أخبرته أن النكاح فى الجاهلية كان على أربعة أنحاء : منها نكاح الناس اليوم ، يخطب الرجل إلى الرجل وليته ، أو ابنته فيصدقها ، ثم ينكحها .

---

(١) النحل : الآيتان : ٥٨ – ٥٩ .

(٢) التكوير : الآيتان ٨ – ٩

(٣) ج ٧ – ص ١٩ : كتاب النكاح ، باب : من قال : لا نكاح إلا بولى طبعة دار الشعب – القاهرة .

ونكاح آخر : كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها : أرسلى إلى فلان فاستبضعى منه ، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذى تستبضع منه ، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب .

وإنما يفعل ذلك رغبة فى نجابة الولد ، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع .

ونكاح آخر : يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم : قد عرفتم الذى كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان - تسمى من أحبت باسمه - فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل .

والنكاح الرابع : يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا ، كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً ، فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لها القافة[1] ثم ألحقوا ولدها بالذى يرون فالتاطوه به (أُلحِق بنسبه) ودُعي ابنه لا يمتنع من ذلك .

وتمضي أم المؤمنين - رضي الله عنها - فتقول :

(١) جمع قائف .. وهو الذى يدرك الشبه الدقيق بين الابن وأبيه .

« فلما بعث محمد - ﷺ - بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم » .

وثمة ألوان أخرى من النكاح مثل :

« نكاح المقت » الذى يتزوج فيه الرجل زوجة أبيه وقد حرمه القرآن بنص الآية ، وذلك فى قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ ﴾ (١)

ثم نكاح « الخدن » الذى حرم كذلك فى قوله تعالى :

﴿ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ ﴾ (٢)

☆ ☆ ☆

كما كان من المألوف لديهم إستبداد الرجل بأمر المرأة ؛ حتى ليمنعها من أن تتزوج بعده . قال تعالى :

(٣)
﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ ﴾

هذا بالإضافة إلى ما سجله القرآن الكريم من أن بعض ساقطى المروءة من هؤلاء الجاهلين كان يتخذ من الإماء سبيلا إلى الكسب عن طريق البغاء الذى حرمه القرآن بصريح الآية :

---

(١) النساء : الآية ٢٢ .   (٢) النساء : من الآية ٢٥ .   (٣) البقرة : من الآية ٢٣٢

﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (١) .

يضاف إلى ذلك ، ما كانت تعامل به من الحرمان من الميراث وكافة حقوق الرجل باعتبارها عالة عليه غير قادرة على الكسب أو الحرب .

كل هذا يعطى لنا دلالة على نوع التحول الإنسانى الهائل الذى أحدثته رسالة صاحب السيرة – صلوات الله وسلامه عليه – فى الانتصاف للأنثى وتكريمها ، كما لم يحدث من قبل فى جاهلية العرب أو كل الجاهليات .

موقفهم من المال وما يتصل به :

من حديث القرآن الكريم عن المال تبدو الحالة الاقتصادية لمجتمع الجاهلية قائمة على التجارة فى رحلتي الشتاء والصيف المشهورتين – اللتين امتن الله تبارك وتعالى عليهم بها وبما أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف .

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤) ﴾ (٢)

(١) النور : من الآية ٣٣ .
(٢) سورة قريش : الآيات ١ – ٤ .

وقد نشطت هذه التجارة فى رحلتيها نشاطاً ملحوظاً يكفى فى الدلالة عليه أن نعلم أن عير القرشيين التى كانت عائدة من الشام عند غزوة بدر كانت ألفا ، وأن قيمة ما كانت تحمله قدرت بخمسين ألف دينار[1] .. وهو مبلغ ضخم إذا قورن بما كانت عليه أموال الناس آنذاك .

ولاشك فى أن هذا النشاط التجارى خلف وراءه رصيداً من الثراء لدى مجموعات غير قليلة ، وتكونت بسببه طبقة مترفة عرفت رقة العيش وفنون النعيم إلى حد أن كان واحد منهم هو عبد الله بن جدعان التميمى يشرب الخمر فى كأس من الذهب .

لكن هذا الغنى فى أوله وآخره لم يحرر قلوب أصحابه آنذاك من العبودية للمال ومن شح النفس الذى يجعل أولئك المترفين اللاهين لا يجدون غضاضة فى أن ينموا ثرواتهم بالربا مستغلين ضعف الضعيف ووطأة الحاجة على المحتاج وذلك ما سجله القرآن الكريم فى عدد من آيات سورة البقرة وآل عمران والنساء[2] ، منكراً على أصحابه أشد الإنكار مطالباً إياهم برد ما أخذوه مما لا حق لهم فيه ، منذراً من يستمر منهم بحرب من الله ورسوله على نحو ما قال :

---

(١) انظر السيرة النبوية للأستاذ الندوى ص ٦٣ طبعة دار الشروق جدة .
(٢) هى على الترتيب : البقرة - الآيات ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، والآية ١٣٠ من آل عمران والآية ١٦١ من النساء .

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾[1]

هو حس غليظ إذن ذلك الذى كان يتحرك به وله المجتمع الجاهلي قبل البعثة المحمدية وحسبك من بشاعة أن يئد الرجل ابنته بيديه خشية العار أو خشية إملاق أو كلاهما على السواء .. أو أن تقوم الحروب أعواماً طوالا من أجل أمر لا يؤبه له فى موازين العقلاء ، على ماهو معروف ومشهور .

* * *

وقد كان جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه – من أصدق الناس تصويراً لهذه الحالة وذلك فى كلمته التى قالها للنجاشي إبان الهجرة الأولى إلى الحبشة حين قال :

« أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف »[2] .

وكان لسيطرة المنزع الحسي على أهل الجاهلية العربية أثره غير المحدود فى الإغراق الذى لا نظير له فى عبادة الأصنام إلى حد أنه كان فى جوف الكعبة وفى فنائها ثلاثمائة وستون صنما ، وكان فى كل دار من دور مكة صنم يعبدونه[3] !

١) البقرة : الآية ٢٧٩ .

٢) سيرة ابن هشام (١ : ٣٣٦) .

٣) السيرة النبوية للأستاذ الندوى (ص ٦٩) عن الأصنام لابن الكلبي .

وكما يقول الأستاذ الندوى :[1]

« وهكذا وصلوا – أى أهل الجاهلية – رغم ما طبعوا عليه من الفتوة وخلال المروءة وكثير من الأخلاق العربية الكريمة – وصلوا إلى درجة سخيفة راعنة من الوثنية وعبادة الأصنام ، والتمسك بالخرافات والأوهام ، وجهل المفاهيم الدينية الصحيحة ، والبعد عن الإبراهيمية الحنيفية السمحة .. وصلوا درجة لم يصل إليها إلا النادر من الشعوب والأمم » .

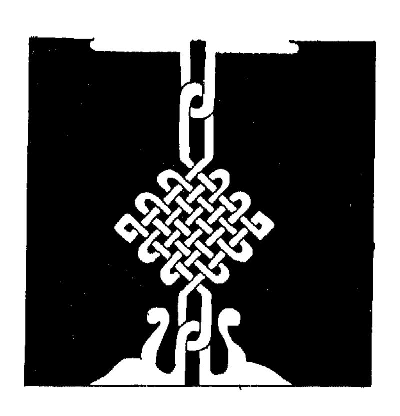
من أجل هذا كله كان ظهور الإسلام لابد منه .

ومن أجل هذا كله استغرقت الآيات الداعية إلى التوحيد وتصحيح العقيدة ما يقارب ثلثي القرآن الكريم .

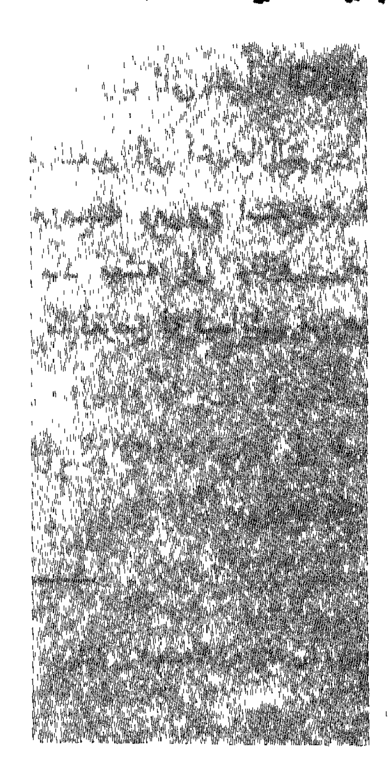
كما كانت عملية التغيير التى أخذها النبي – صلوات الله وسلامه عليه – على عاتقه صعبة ومريرة استغرقت أكثر من نصف عمر الرسالة المحمدية منذ بعثته إلى وفاته – صلوات الله وسلامه عليه – ، على نحو ما نعرض له فيمايلى من هذا البحث

---

(١) المصدر السابق .



بين يدى النبوة



حادث الفيل وميلاد الرسول :[1]

كان حادث الفيل بما اكتنفه من ظروف وما أحاط به من المعجزات دليلا لاشك فيه على أن الله - تبارك وتعالى - يريد للكعبة مستقبلا فى الأرض لا تقوى قوة على هدمه .. وأن لها فى مستقبل الأديان السماوية دوراً ليس لغيرها من الأديان . كما كان إرهاصاً بأن المنطقة على وشك أن تستقبل حدثاً عظيماً ، ونقطة لها دلالتها فى تاريخ مولده - ﷺ - فى العام نفسه الذى حدث فيه هذا الحادث .

وتسجل كتب السيرة حديثاً مشهوراً دار بين عبد المطلب جد الرسول - ﷺ - وسيد قريش وبين « أبرهة » قائد الجيش المغير على مكة ، وكان أبرهة قد أصاب لعبد المطلب مائتين من إبله فسعى إلى مقابلته .. وظن أبرهة أنه جاء ليفاوضه بشأن البيت حتى يعود فلا يهدمه ، لكنه حدثه عن الإبل .. فسقط فى عينه بعد ما أكبره وبعد ما نزل له عن سريره .. ثم قال له :

(أتكلمنى فى مائتى بعير هي لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك وقد جئت لأهدمه وما تكلمنى بشأنه ؟ فقال عبد المطلب : (أما الإبل فهي لى ، وأما البيت فله رب يحميه) .

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٤٤ - ٥٧ ، وانظر السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٢٨ - ٤١

وقد فرت قريش إلى الجبال والشعاب تخوفاً ونجاة .. وترقياً لما يصنع أبرهة بالبيت[1] أو ما يصنعه به رب هذا البيت .. وقام عبد المطلب ونفر معه يمسكون بحلق باب الكعبة يستصرخون رب البيت ويستنصرونه ويروى قوله من الشعر .

لا هُمّ[2] إن العبدَ يمنع رحلَه فامنع رحالك .
لا يغلبَنّ صليبهم ..... ومِحَالهم أبداً مِحالك .
إن كنتَ تاركَهم وقبلتَنا فأمرٌ ما بدا لك .

وأصبح أبرهة يتجه بجيشه إلى البيت ليهدمه ، وهيأ فيله ليتقدم الجيش لكنه برك .. فحاولوا معه وضربوه فما تحرك ، فلما حولوا وجهه صوب اليمن قام يهرول .

وعندئذ أرسل الله طيراً كثيرة فى مناقيرها حصوات لا تصيب أحداً من جيش أبرهة إلا أهلكته .

وأصيب أبرهة فى جسده وخرج معهم تساقط أنامله .. حتى وصل صنعاء فمات فيها .

هذا الحادث سجله القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾[3] .

(١) الندوى (ص ٥٦) .
(٢) الأصل اللهم وحذفت الألف واللام تخفيفا لضرورة الشعر .
(٣) سورة الفيل : الآيات ١ – ٥

قلق غامض :

جاء في سيرة ابن كثير[1] : روى الحافظان : البيهقى وأبو نعيم فى « دلائل النبوة » من حديث يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن أبيه عن عمرو بن شرحبيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة[2] :

إنى إذا خلوت سمعت نداءً ، وقد خشيت والله أن يكون لهذا أمر .

قالت : معاذ الله ما كان ليفعل ذلك بك ، فو الله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث .

« وكان - ﷺ - يجد فى نفسه قلقاً غامضاً لا يعرف مصدره ، ولا يخطر بباله لحظة ما أكرم به من الوحي والرسالة ولا يحلم بذلك فى يوم من الأيام .

هذا المعنى يشير إليه القرآن الكريم فى قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ (٣)

---

(١) سيرة ابن كثير ج ١ ص ٣٩٨ .
(٢) السيرة النبوية ص ٨٠ .
(٣) الشورى : الآية ٥٢ .

وقوله تعالى :

﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ (١)

نبوة محمد – ﷺ – دعوة إبراهيم وبشارة عيسى :

روى ابن سعد (٢) عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر قال : قال رسول الله ﷺ :

« أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشر بي عيسى بن مريم » .

وروى ابن كثير (٣) :

عن الإمام أحمد بسنده إلى أبي أمامة – رضي الله عنه – . قال : قلت يا رسول الله ما كان بدءُ أمرك ؟

قال – ﷺ – : « دعوةُ أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمّي أنه يخرج منها نورٌ أضاءت له قصور الشام » ،

هذا المعنى مشار إليه فى القرآن فى قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ

(١) القصص : الآية ٨٦ .
(٢) الطبقات ج ١ ص ١٤٨ – ١٤٩ .
(٣) السيرة لابن كثير جـ ١ ص ٢٨٧ .

ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ (١)

فهذه دعوة إبراهيم .

أما بشرى عيسى بن مريم فهى مذكورة فى القرآن فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ ﴾ (٢).

ذكره ﷺ فى التوراة والإنجيل :

روى ابن كثير(٣) عن الإمام أحمد بسنده إلى عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت : أخبرنى عن صفة رسول - ﷺ - فى التوراة فقال : أجل والله إنه لموصوف فى التوراة بصفته فى القرآن « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ، لا فظ

(١) البقرة الآيات : ١٢٧ - ١٢٩ .   (٢) الصف : من الآية ٦ .

(٣) السيرة لابن كثير ج ١ ص ٣٢٧ .

ولا غليظ ولا صخّاب فى ٱلأسواق ولا يجزى السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر » .

وجاء مثله فى طبقات ابن سعد(١) .

وهذا المعنى مشار إليه فى قول الله تبارك وتعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (٢)

وقوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ (٣)

---

(١) الطبقات جـ ١ / ١ ص ٣٦٠ .

(٢) الأعراف : الآية ١٥٧ .

(٣) البقرة : الآية ١٤٦ .

وقوله تعالى :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (٢)

النبي الأميّ :

كان من حكمة الله – تبارك وتعالى – أن يكون الرسول أمياً

(١) الفتح : من الآية ٢٩ .

(٢) آل عمران : الآية ٨١ .

لا يقرأ ولا يكتب .. ربما لتكون معجزة القرآن على لسانه - ﷺ - أبلغ دليل على أنها من عند الله .

هذه الأمية قررها القرآن فى قوله تعالى :

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (١)

وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ (٢)

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (٣)

وقوله تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ (٤)

---

(١) العنكبوت : الآية ٤٨ .
(٢) الأعراف : من الآية ١٥٧ .
(٣) الأعراف : الآية ١٥٨ .
(٤) الجمعة : من الآية ٢ .

النبي اليتيم :

قال ابن إسحاق[1] وبمثله قال ابن سعد[2]

« ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله - ﷺ - أن هلك وأمُّ رسول الله - ﷺ - حاملٌ به » .

هذا المعنى يشير إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾[3]

بدءُ الوحي وأوّلُ ما نزل من القرآن :

روى البخارى[4] بسنده إلى عائشة - رضى الله عنها - قالت :

« أولُ ما بُدىء به رسول الله - ﷺ - منْ الوحي ، الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيَا إلا جاءت مثلَ فلق الصبح ، ثم حُبّب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبدُ - الليالى ذوات العدد قبل أن ينزِع إلى أهله ، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ : قال ما أنا بقارىء . قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال اقرأ ، قلت : ما أنا بقارىء ، قال فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى

(١) السيرة ج ١ ص ١٦٧ (٢) الطبقات ج ١ / ٩٩ . (٣) الضحى : الآية ٦ .

(٤) البخارى : ج ١ ص ٦ ط . عيسى الحلبى - باب كيف بدأ الوحى ؟

الجهد ، ثم أرسلنى فقال اقرأ ، قلت : ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى الثالثة ، ثم أرسلنى فقال :

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ (... الحديث)

وهذا ما ذكره القرآن فى سورة العلق :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ (١)

☆ ☆ ☆

المزمل المدثر – صلوات الله عليه – :

وفى حديث البخارى المذكور آنفاً حول بدء الوحى تقول عائشة – رضى الله عنها – « ... فرجع بها رسول الله – ﷺ – يرجف فؤاده فدخل علي خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – فقال : زملونى .. زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع ... » الحديث .

هذا الحديث أشار إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ (٢)

---

(١) العلق : الآيات ١ – ٥ .

(٢) المزمل : الآيتان ١ – ٢ .

كما روى البخارى بسنده إلى جابر بن عبد الله الأنصارى عن النبي - ﷺ - وهو يُحدّث عن فترة الوحى فقال فى حديثه :

« بينما أنا أمشى سمعت صوتاً من السماء فرفعتُ بصرى ، فإذا المَلَكُ الذى جاءنى بحراء ، جالسٌ على كرسى بين السماء والأرض ، فرعبت منه فرجعت فقلت : دثرونى .. » الحديث .

وهو ما أشار إليه القرآن فى قوله تبارك وتعالى فى سورة المدثر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ ﴾ (١)

تحرك شفتيه - ﷺ - عند الوحي :

روى البخارى(٢) فى الصحيح بسنده إلى ابن عباس - رضي الله عنهما : قال : كان رسول الله - ﷺ - يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه (أى ممن يحرك شفتيه) .. الحديث . وكأنه كان يتعجل حفظ ما يوحى إليه .

هذه الحالة مذكورة فى القرآن فى قول الحق - تبارك وتعالى - : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩ ﴾ (٣)

(١) المدثر : الآيات ١ - ٥

(٢) البخارى ج ١ ص٧ ط . عيسى الحلبي - باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ - . ومثله ما جاء فى الطبقات ج / ١ ص ١٩٧ - ١٩٩ .

(٣) القيامة : الآيات ١٦ - ١٩ .

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما فى تتمة الحديث وبعد أن فسر الآيات :

« فكان رسول الله - ﷺ - بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع ، فإذا انطلق جبريلُ قرأه النبي - ﷺ - كما قرأه » .

أَوَ مُخْرِجِيَّ هُم ؟ :

فى البخارى وكتب السيرة[1] :

أن ورقة بن نوفل لما سمع بما حدث للرسول - ﷺ - فى الغار قال :

« والذى نفسى بيده إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ، وأن قومك سيكذبونك ويؤذونك ويخرجونك ويقاتلونك » . فقال - ﷺ - متعجباً : « أو مخرجى هم ؟ ؟ » .

هذا الإخراج يصفه القرآن فى قوله - تبارك وتعالى - فى سورة محمد :

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ ﴾[2]

(١) انظر : البخارى ح ١ ص ٧ باب : كيف كان بدء الوحى ؟ وانظر : سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٥٤ ، وانظر : سيرة ابن كثير ج ١ ص ٣٩٩ ط . الحلبي .

(٢) سورة محمد : الآية ١٣ .

وقوله تعالى :

﴿ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ
وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ﴾ (٢)

وقوله تعالى :

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ
خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٣)

الجهر بالدعوة :

ذكر ابن هشام (٤) وابن سعد :

« ثم إن الله – عز وجلّ – أمر رسوله – ﷺ – أن يَصْدَعَ بما جاءه منه وأن ينادى الناس بأمره ، وأن يدعو إليه ، فكان بين ما أخفى رسوله – ﷺ – أمره واستتر له إلى أن أمره الله – تعالى – بإظهار دينه ثلاث سنين – فيما بلغنى – من مبعثه » .

---

(١) البقرة : من الآية ١٩١ .
(٢) الممتحنة : الآية ٩ .
(٣) الأنفال : الآية ٣٠ .
(٤) السيرة ج ١ ص ٢٨٠ وطبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٠٠ .

وروى مثله ابن كثير[1] فيما نقله عن الإمام أحمد بسنده إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - قال :

لما أنزل الله ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ أتى النبي ﷺ - الصفا فصعد عليه ثم نادى « يا صباحاه » . فاجتمع النّاس إليه بين رجل يجيء إليه ورجل يبعث رسوله ، فقال رسول الله - ﷺ - :

« يا بنى عبد المطلب ، يا بنى فهر ، يا بنى كعب : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادى تريد أن تغير عليكم صدقتمونى ؟

قالوا : نعم . قال : «فإنى نذير لكم بين يدي عذاب شديد » .

هذا المعنى يعبر عنه القرآن فى قوله تعالى :

﴿ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ ﴾ (٢)

وفى قوله تعالى :

﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ (٣)

وفى قوله تعالى :

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ (٤)

---

(١) السيرة ج ١ ص ٤٥٥ - ٤٥٦ .
(٢) الحجر : الآية ٨٩ .
(٣) الحجر : الآية ٩٤ .
(٤) الشعراء الآية : ٢١٤ .

وفى قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ ﴾ (١)

☆ ☆ ☆

فترة الوحي :

قال ابن هشام : قال ابن إسحاق (٢)

« ثم فتر الوحي عن رسول الله - ﷺ - فترة حتى شق عليه ذلك فأحزنه ، فجاءه جبريل بسورة الضحى ، يقسم له ربه ، وهو الذى أكرمه بما أكرمه به ماودعه ربه وما قلاه » .

فقال تعالى :

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ ﴾ (٣)

☆ ☆ ☆

مقالات المشركين فى الرسول - ﷺ - :

فى سيرة ابن هشام (٤) أن نفراً من قريش اجتمعوا إلى الوليد ابن المغيرة وكان ذا سن فيهم وقد أظلهم الموسم وخافوا أن تأتى وفود الحجيج فتسمع بأمر النبى - ﷺ - فتستجيب له فأرادوا أن يجمعوا رأياً يصفونه به ليحولوا بينه وبين الناس .

---

(١) المدثر : الآيتان ١ - ٢ . (٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٥٧ . (٣) الضحى : الآيات ١ - ٥ .
(٤) ج ١ ص ٢٨٨ . وذكر مثله ابن كثير فى السيرة ج ١ ص ٤٩٨ - ٥٠٢ .

فسألهم الوليد : قولوا : أسْمَع ..

قالوا : تقول : كاهن . قال : والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه .

قالوا : فنقول : مجنون . قال : ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا وسوسته .

قالوا : فنقول : شاعر . قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كلّه رجزه وهَزَجه ، وقَرِيضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر .

قالوا : فنقول : ساحر . قال : ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم .

قالوا : فما تقول : يا أبا عبد شمس ؟

قال : والله إنّ لقوْلِه لَحلاوةً ، وإن أصله لعذْق[1] ، وإنّ فرعه لجناة[2] ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر ، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته .

ونظير هذا فى القرآن قوله تعالى : حكاية لحال الوليد وماقاله :

﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾

(١) العذق .. النخلة .. والمراد أصله ثابت . (٢) الجناة : ما يجنى من الثمر .

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ (١)

* * *

إعنات المشركين للرسول وإيذاؤهم له :

قال ابن إسحاق :(٢) ثم إن الإسلام جعل يفشو بمكة فى قبائل قريش فى الرجال والنساء ، وقريش تحبس من قدرت على حبسه ، وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين .

ثم إن أشرافَ قريش من كل قبيلة اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة وقال بعضهم لبعض :

ابعثوا إلى محمد وخاصموه حتى تعذروا فيه . فبعثوا إليه .. وكان مما قالوا :

« يا محمد فإن كنت غير قابل منا شيئا مما عرضنا عليك فإنك قد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلداً ولاً أقل مالا ولا أشد عيشاً منا .. فسل ربك أن يسيِّر عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق » ... الخ .

---

(١) المدثر الآيات ١٨ - ٢٥ .

(٢) السيرة لابن هشام ج ١ ص ٣١٥ - ٣١٨ ، وروى مثله ابن كثير فى السيرة ج ١ ص ٥٠١ - ٥٠٢ بتصرف .

هذا المقال عبرّ عنه القرآن فى قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ (٢)

وقال ابن إسحاق :(٣)

« قالوا : فإذا لم يفعل هذا : فخذ لنفسك ، سل ربك أن يبعث معك مَلكاً يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك ، وسله فيجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى ، فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم ، وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم » .

(١) الرعد : من الآية ٣١ . (٢) الإسراء : الآيات ٩٠ – ٩٣ . (٣) السيرة لابن هشام ج ١ ص ٣١٧ .

ونظير هذا فى القرآن قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا (٨) انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٩) تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا (١٠) ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (٢٠) ﴾ (٢)

☆ ☆ ☆

« أو ترقى فى السماء »

قال ابن إسحاق :(٣) « فلما قالوا ذلك لرسول الله - ﷺ - قام عنهم وقام معه عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة ابن عمة رسول الله ، قائلا له :

---

(١) الفرقان : الآيات ٧ - ١٠ . (٢) الفرقان : الآية ٢٠ . (٣) السيرة لابن هشام ج ١ ص ٣١٨ .

« يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم .

ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل .

ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل .

ثم سألوك أن تُعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل .

فو الله لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى ، وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ، ثم يأتى معك أربعة من الملائكة يشهدون لك .. أنك كما تقول ، وايم الله لو فعلت ذلك ما ظننت أنى أصدقك » .

نظير هذا فى القرآن قوله تعالى :

﴿ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ (١)

☆ ☆ ☆

الهمزة اللمزة :

قال ابن إسحاق : (٢) وكان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله - ﷺ - همزه ولمزه . قال ابن هشام : والهمزة الذى يشتم الرجل

(١) الإسراء : من الآية ٩٣ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٨٢ .

علانية ويكسر عينيه عليه ويغمز به .

ونظير هذا فى القرآن قوله تعالى :

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩ ﴾ [1]

☆ ☆ ☆

سَبُّ الإله :

قال ابن كثير :[2] ولقي أبو جهل بن هشام رسول الله – ﷺ – فيما بلغنى – فقال له :

« والله يا محمد لتتركن سب آلهتنا ، أو لنسبنّ إلهك الذى تعبد » .

عن هذا يتحدث القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ ﴾ [3]

---

(١) الهمزة : الآيات ١ – ٩ .

(٢) السيرة لابن كثير ج ١ ص ٥١ .

(٣) الأنعام : من الآية ١٠٨ .

عظيم القريتين :

قال ابن إسحاق[1] : « والوليد بن المغيرة قال : أيُنزل على محمد وأُترك وأنا كبير قريش وسيدها ؟ ويُترك أبو مسعود عمر بن عمير الثقفي سيد ثقيف ؟ ونحن عظيما القريتين ؟ .

عن هذا يتحدث القرآن فى قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[2]

☆ ☆ ☆

أُبيٌّ بن خلف وعُقبة بنِ أبى معيط :

فى سيرة ابن هشام ما خلاصته :[3]

إن أبيٌّ بن خلف وعقبة كانت بينهما صداقة قوية وسمع أُبيٌّ بأن عقبة جلس إلى رسول الله - ﷺ - وسمع منه فأعلن قطيعته ما لم يذهب إلى محمد - ﷺ - ويتفل فى وجهه .. وقد فعلها اللعين .

---

(١) السيرة لابن هشام ص ٢٨٧ .

(٢) الزخرف : الآيتان ٣١ - ٣٢ .

(٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٨٧ .

وفى هذا يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾(1)

☆ ☆ ☆

ومشى أُبَيّ إلى رسول الله - ﷺ - بعظم بالٍ قد تحطم فقال يا محمد : تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أَرَمّ - أي بلى - ثم فته فى يديه ، ثم نفخه فى وجه رسول الله - ﷺ - .

وفى هذا يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾(2)

☆ ☆ ☆

أبو جهل والرسول - ﷺ - :

قال ابن إسحاق :(3) قال أبو جهل : « يا معشر قريش إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا وإنى أعاهد الله لأجلسنّ له غدًا بحجر ما أُطيق حمله ، فإذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه فأسلمونى عند ذلك أو امنعونى فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم » .

---

(1) الفرقان : الآيات ٢٧ - ٢٩ . (2) يس : الآيتان ٧٨ - ٧٩ .

(3) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣١٩ .

نظير هذا فى القرآن قوله تعالى :

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا
صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾
أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن
لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ
نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾ ۩ ﴾ (١)

☆ ☆ ☆

طعام الأثيم :

وأبو جهل هذا هو الذى قال لقومه لما خوفهم الله بشجرة الزقّوم قال ساخراً :

يا معشر قريش أتدرون ما شجرة الزّقوم التى يخوفكم بها محمد ؟

قالوا : لا . قال : إنها عجوة يثرب بالزبد . والله لئن استمكنا منها لنتزقّنها تزقّماً . (٢)

عن هذا الموقف وجزاء صاحبه نزلت الآيات :

---

(١) العلق : الآيات من ٩ – ١٩ .

(٢) ابن هشام ج ١ ص ٣٨٨ .

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾
كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ
سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ (١)

☆ ☆ ☆

أبو لهب والرسول :

كان أبو لهب من أشد الناس إيذاءً لرسول الله – ﷺ – ، وكما يقول ابن كثير (٢) :

« وكان من أشد الناس عليه عمه أبو لهب واسمه عبد العزى ابن عبد المطلب وامرأته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان .

ويقول ابن كثير (٣) : إن الرسول – ﷺ – لما أنذر قومه .. وقال لهم « إنّي نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد » . قال له أبو لهب : تبًّا لك سائر اليوم (ألهذا جمعتنا ؟) . أما دعوتنا إلا لهذا ؟

القرآن يسجل هذا في قوله تبارك وتعالى :

(١) الدخان – ٤٣ – ٥٠ (٢) سيرة ابن كثير ج ١ ص ٤٦١ ط . الحلبي .
(٣) سيرة ابن كثير ج ١ ص ٤٥٦ ومثله ما أورده ابن هشام في السيرة ج ١ ص ٣٨٠ .

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ ﴾[1]

☆ ☆ ☆

وامرأة أبى لهب :

وكانت أم جميل[2] - امرأة أبي لهب - تحمل الشوكَ فتطرحه على طريق رسول الله - ﷺ - حيث يمر فسماها القرآن « حمالة الحطب » .. فأتت رسول الله - ﷺ - وهو جالس بالمسجد وبيدها حجر تريد أن تضربه به فصرف الله بصرها عنه فلا ترى إلا أبا بكر فقالت : يا أبا بكر أين صاحبك ؟ فقد بلغنى أنه يهجونى والله لو وجدته لضربت بهذا الحجر فاه ، أما والله إنى لشاعرة ، ثم قالت شعراً تهجو به الرسول :

مُـــذَمَّاً عَصَيْنَـــا وأمره أبَيْنَـــــا
وَدِينَــه قَلَيْنَـــا

ثم انصرفت فقال أبو بكر يا رسول الله : أما تراها رأتك ؟ فقال له - ﷺ - : ما رأتنى لقد أخذ الله بصرها عنى .

حديث أم جميل هذه مذكور فى قوله تعالى :

---

(١) المسد : الآيات ١ - ٣ .

(٢) ابن هشام ج ١ ص ٣٨١ - ٣٨٢ .

﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥ ﴾ (١)

وكان رسول الله – ﷺ – يقول : « ألا تعجبون لما يصرف الله عنى من أذى قريش يسبون ويهجون مذمماً وأنا محمد (٢) ؟ »

☆ ☆ ☆

لا أسألكم عليه أجراً : (٣)

قال ابن إسحاق : « اجتمع نفر من رؤساء قريش فبعثوا إلى رسول الله – ﷺ – فقالوا له :

يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخلَ على قومه مثل ما أدخلت على قومك .

لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسببت الآلهة وسفهت الأحلام وفرقت الجماعة فما بقي أمرٌ قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك .

فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً .

وإن كنت تطلب به الشرف فينا فنحن نسوّدك علينا . وإن

---

(١) سورة المسد : الآيتان ٤ – ٥ . (٢) ابن هشام ج ١ ص ٣٨٢ .

(٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣١٦ – ٣١٧ وانظر : مثله فى سيرة ابن كثير ج ١ ص ٤٧٨ – ٤٨١ .

كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا .

وإن كان هذا الذى يأتيك رَئياً تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمّون التابع من الجن رئياً - بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرّئك منه ، فقال - ﷺ - :

ما بى ما تقولون ، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم .

ولكن الله بعثنى إليكم رسولا وأنزل عليّ كتاباً وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلّغتكم رسالات ربّى ونصحت لكم فإن تقبلوا منّى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة .

وإن تردوُّه عليّ أصبرْ لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم ، أو كما قال - ﷺ - .

نظير هذا فى القرآن قوله تعالى :

﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (٢)

---

(١) سورة سبأ : الآية ٤٧ .

(٢) الأنعام : من الآية : ٩٠ .

وقوله تعالى :

﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (٢)

وقوله تعالى :

﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ (٣)

وقوله تعالى :

﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾ (٤)

وقوله تعالى :

﴿ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (٥)

---

(١) يوسف : الآيتان ١٠٣ – ١٠٤ .

(٢) المؤمنون : من الآية ٧٢ .

(٣) الفرقان : الآية ٥٧ .

(٤) الشورى : من الآية ٢٣ .

(٥) سورة القلم : الآية ٤٦ .

الأفّاك الأثيم :

روى ابن كثير قال[1] :

روى الإمام أحمد بسنده إلى أنس - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - « **لقد أُذيتُ فى الله وما يؤذَى أحَد ، وأُخِفْتُ فى الله وما يُخَاف أَحَد ، ولقد أتت عليّ ثلاثون بين يومٍ وليلة وما لى ولبلال ما يأكله ذو كبد رطبة إلا ما يوارى إبطُ بلال** » .

وهذا النضر بن الحارث بن علقمة بن كلْدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي[2] .

كان إذا جلس رسول الله - ﷺ - مجلساً فدعا فيه إلى الله تعالى ، وتلا فيه القرآن ، وحذّر فيه قريشاً مما أصاب الأمم الخالية ، خلَفَه النضر فى مجلسه إذا قام فحدّثهم عن رستم وعن اسفنديار وملوك فارس ثم يقول لهم : والله ما محمد بأحسن حديثاً منى ، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبتها .

هذا النضر تحدث عنه : قول الله - عز وجل - :

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ ﴾

---

(١) السيرة لابن كثير ج ١ ص ٤٧٢ - ٤٧٣ وأخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث حداد بن سلمة ، وقال الترمذى حديث حسن صحيح .

(٢) السيرة لابن هشام ج ١ ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .

يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا
وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (١)

وقوله :

﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ (٢)

ثم يقول تبارك وتعالى عنه :

﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ (٣)

ويلاحظ هنا أن تصوير النصّ القرآنى لما كان يقوم به النضر ابن الحارث وأمثاله قد جاوز تصرّفه فرداً وانتقل إلى رسم صورة عامة له ولكل أفّاك مثله يكذب على الله ويكذب على الناس ويحاول بباطله الذى يرويه من أقاصيص الفرس أن يصدّ الناس عن الحق وعن سبيل الله ، وكأنه لم يستمع إلى هذا الحق من الرسول ﷺ – ولو استمع إليه لوقر فى أذنيه .

---

١) سورة الجاثية الآيات ٧ – ١٠ .

٢) سورة القلم آية ١٥ .

٣) سورة الفرقان آية ٥ .

ثم لأنه مصرّ على الباطل ومستكبر على الحق تراه حتى لو أصغى إلى آيات الله وعلم منها شيئاً لا يتبدل موقفه بل يتخذ آيات الله هزواً ، ومن ثم فلا مصير إلا النار وعذابها العظيم .

وهكذا نرى أن ما جاء فى القرآن عن « النضر وأمثاله » أعظم وأوفى مما جاء فى كتب السيرة .. لأن القرآن أشار إلى الحدث وصوّر منه النموذج ، ثم حلّل دوافعه وبواعثه وخَلَص أخيراً إلى حكم الله فيه .. وهذا كله لم يرد فى كتب السيرة .

الحَلاَّفُ المهين :

ومن الذين آذوا رسول الله – ﷺ – واستهزأوا به ، الأخنس ابن شريق[1] بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بن زهرة ، وكان من أشراف القوم وممن يُستمع منه ، فكان يصيب رسول الله – ﷺ – ويردّ عليه .. وهذا مجمل ما أوردته بشأنه كتب السيرة .

أما القرآن الكريم فيتخذ منه كما اتخذ من أمثاله نموذجاً للسلوك غير السويّ لنماذج من البشر لا عاصم لها من خلق ، ولا ضابط لها من عقل راجح أو فكر متزن ، وكل ما تعتد به هو المال والبنون فتحملها وفرة المال وعصبية الأهل على السلوك العدوانى غير السويّ بين الناس وذلك ما جاء فى قول الحق تبارك وتعالى عنه :

---

(١) ابن هشام ج ١ ص ٣٨٦ ، وابن كثير ج ٢ ص ٥٤ .

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ
بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن
كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾
سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ ﴾ (١)

وتقرير أنه « زنيم »(٢) والحديث عن المال والبنين فى حياته يشيران بوضوح إلى العلة الكامنة وراء المسلك الشاذ لأعداء الحق فى كل مكان وبيان أنه لا يشذ عن الحق إلا الشواذ عن سواء التكوين أو الشواذ عن سواء السلوك من الناس .

* * *

ويوم يعضّ الظالم على يديه :

والظالم المشار إليه هنا هو عقبةُ بن أبى معيط(٣) وكان وأُبيّ ابن خلف متصافيين حسنا ما بينهما ، وكانا يعاديان الرسول - ﷺ - :

وذات يوم بلغ أُبيّ بن خلف أن عقبة أتى رسول الله - ﷺ - فجلس إليه واستمع منه فأتاه فقال له :

---

(١) سورة القلم : الآيات ١٠ - ١٦ .

(٢) الزنيم هو الرجل المغموز فى نسبه وهو الدعى فى القوم ومنه قول الشاعر :

زنيم تداعاه الرجال زيادة   كما زيد فى عرض الأديم الأكارع

(٣) انظر ابن هشام ج ١ ص ٣٨٧ ، وابن كثير ج ٢ ص ٥٤ ، وانظر البخارى ج ٢ ص ٣٢١ باب ما لقى النبى - ﷺ - وأصحابه من المشركين بمكة .

ألم يبلغنى إنك جالست محمداً وسمعتَ منه ؟ ! وجهى من وجهك حرام أن أكلمك - واستغلظ من اليمين - إن أنت جلست إليه أو سمعت منه ، أو إن لم تأته فتتفل فى وجهه !!

وتقول السيرة : ففعل ذلك - أى تفل فى وجه الرسول - صلوات الله عليه - . فعل ذلك عدو الله عقبة بن أبى معيط لعنه الله .

هذا النموذج تحدث عنه القرآن فى قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (١)

ويلاحظ من وصف القرآن له بالظالم أنه كان بمثابة حكم دقيق على ما فعله ابن أبى معيط مع رسول الله - ﷺ - بتحريض أُبيّ بن خلف .. هو ظلمٌ من كل منهما لنفسه التى يوردها موارد التهلكة ، وظلم للحق ، وللرسول - ﷺ - بما أساءا إليه .. والويلُ لهذا الظالم لنفسه والظالم لرسول الله - ﷺ - ولذا يعرضه التعبير القرآنى وهو يعض بنان الندم فى يوم لا ينفع فيه

---

(١) الفرقان : الآيات ٢٧ - ٢٩ .

الندم متمنياً المستحيل أن يعود إلى دنياه فيعتذر إلى الرسول - ﷺ - مما أساء إليه ، ويقطع ما بينه وبين قرين السوء الذى وسوس له كالشيطان .. والشيطان على الدوام خذولٌ للإنسان .. ولكن لات ساعة مندم ؟

☆ ☆ ☆

وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه :

ومرة أخرى نرى الظالم أُبيّ بن خَلَف[1] يمشي إلى الرسول - ﷺ - بعَظْم بالٍ قد ارْفَتّ[2] فقال :

يا محمد أنت تزعُمُ أن الله يبعث هذا بعد ما أَرَمّ[3] !.. ثم فتّه بيده ، ثم نفخه فى الريح نحو رسول الله - ﷺ - .

فقال رسول الله - ﷺ - : نعم أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ، ثم يدخلك الله النار .

هذا ما أوردته كتب السيرة .

أما فى القرآن الكريم فنرى الحدث يتحول إلى نموذج عام يهمل فيه أصل الحدث ويُشار فقط إلى سماته القابلة للتكرار ، ويلفت فيه الانتباه إلى البديهيات التى كان يجب ألاّ تنسى ؛ لأن من خلق

---

(١) ابن هشام ج ١ ص ٣٨٧ وابن كثير ٢ / ٥٥ .   (٢) تهشم وتحطم .   (٣) بلى .

الأشياء من العدم قادر بداهة وعقلا على أن يعيدها إذا فنيت ؛ لكن هذه البديهية لا تراها الأبصار إذا ضلت البصائر ولذا نبه القرآن إليها وإلى نظائرها مما يبدو جديراً بالعجب والاعتبار ، كذلك الشجر الأخضر الذى تخرج منه بعد جفافه النار وذلك فى قوله تعالى :

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ
يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ
لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾

نعم « كن فيكون » لأن هذا مناط قدرة الله ، وأمام قدرة الله لا يصعب شيء فى الأرض ولا فى السماء .

لقد تحول الحدث الصغير إلى درس كبير وهذا فرق ما بين السيرة فى السيرة ، والسيرة فى كتاب الله .

---

(١) (يس) ٧٨ - ٨٢ .

لا أعبدُ ما تعبدون :

جاء فى كتب السيرة :[1] أن رسول الله - ﷺ - كان يطوف بالكعبة فاعترضه الأسودُ بن المطلب بن أسد بن عبد العزّى ، والوليد بن المغيرة ، وأميّة بن خلف ، والعاص بن وائل السهمى وكانوا ذوى أسنان فى قومهم فقالوا :

يا محمد ، هلمّ فلْنعبدْ ما تعبد ، وتعبدُ ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت فى الأمر ، فإن كان الذى تعبد خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه .

هكذا جاء فى السيرة حديثاً هادئاً فى أمر ظن المشركون أنه قابل للمساومة .

أما فى القرآن الكريم فقد صيغ الحدث بمثابة بيان أو إعلان تحذيرى حاسم يقرر افتراق الطريق بين الكفر والإسلام فى سورة من ست آيات قصار تبدأ أربع منهن بحرف النفي « لا » ويتقدمهن نداء الإنذار ثم يتبعن بقرار الختام الذى تصبح معه السورة بآياتها أشبه شيء بالبلاغ الحربي الموجز الشديد الحاسم ، الذى لا مجال بعده لتردد أو جدال ، وذلك فى قوله تبارك وتعالى :

---

(١) ابن كثير ج ٢ / ٥٥ وابن هشام ج ٢ ص ٢٨٨ .

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦ ﴾ [1]

* * *

لو كان خيراً ما سبقونا إليه :

قال ابن هشام[2] : « وكان رسول الله - ﷺ - إذا جلس فى المسجد وجلس إليه المستضعفون من أصحابه : خباب وعمار وأبو فكيهة ، وصهيب وأشباههم من المسلمين هزئت بهم قريش وقال بعضهم لبعض : هؤلاء أصحابه كما ترون أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا بالهدى والحق ، لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقونا إليه .. وما خصهم الله به من دوننا .

هذا الموقف هو ما عبر عنه القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٢ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا

(١) الكافرون : الآيات ١ - ٦ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٢ ، وانظر : سيرة ابن كثير ج ص ٨٣ .

بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[1]

ويلاحظ أن حديث القرآن الكريم عن الموضوع جاء تصحيحاً للنظرة الخاطئة لدى أولئك الجاهلين ، وتقريراً للمعيار الذى وضعه الإسلام منذ البداية لتقييم أعمال الناس فليس هو المال ولا الجاه ، ولكن علاقة العبد بخالقه ولذا فإن الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ أولى بصحبة الرسول ﷺ من أولئك الفارغين .

✡ ✡ ✡

ذاك أعجمي وهذا عربي :

قال ابن هشام[2] : وكان رسول الله – فيا بلغنى – كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصراني يقال له : جبر وهو عبدٌ لبنى الحضرمى ، فكانوا يقولون ، والله ما يُعلّم محمداً كثيراً مما يأتى به إلا هذا النصراني – غلام بنى الحضرمى – .

عن هذا الموقف يتحدث القرآن الكريم فيشير إلى أساس الاتهام الذى كان المشركون يقولونه ويرددونه وهو أن القرآن

---

(١) الأنعام : الآيات ٥٢ – ٥٤ .

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ٣٢ ، وابن كثير ح ٢، ص ٨٣ .

ليس من عنـــد الله وإنمـــا هـو افتراء من الرسـول - ﷺ - وحاشا له .

ويرد الزعم فى وجوه أصحابه مقرراً أن القرآن بأمر الله قد نزل بـه الروح القـدس ، وأن مزاعم المشركين متوقعـة منهم مـاداموا فى ضـلالــة الشرك ، ولـو قــد ذاقـوا حــلاوة الإيمــان لكان لهم من الرسـول - ﷺ - ومن القرآن شـأن آخر ثم يردهم إلى مـلاحظــة شـديـدة الوضوح لو كانوا يبصرون وهى : أن الفتى الـذى يزعمون أن الرسول تعلم منه القرآن أعجمى اللسـان والقرآن عربى والرسول كذلك فكيف يجتمعان . وذلك فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (١)

(١) سورة النحل : الآيات ١٠١ - ١٠٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن شانئك هو الأبتر :

قال ابن هشام[1] : وكان العاص بن وائل السهمى إذا ذكر رسول الله - ﷺ - قال : دعوه فإنما هو رجل أبتر لا عقب له ولو مات لانقطع ذكره واسترحتم منه .

عن هذا المعنى يتحدث القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾[2]

ومع أن هذه الآيات الكريمة جاءت ضرباً من المواساة للرسول - ﷺ - والدفاع عنه فهى كذلك تصحح المعيار وتعطى للأبتر معنى غير المتعارف لديهم .

فليس الأبتر من انقطع عقبه وفنيت ذريته وإنما الأبتر من انقطع أمله فى الآخرة لبغضه رسول الله - ﷺ - وعدم استجابته للحق ، فليس الذكر والصيت وليس الصدق بكثرة الأولاد والعقب وإنما هو بالإسلام لله واتباع رسوله .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ۹ ٣٤ ، وانظر سيرة ابن كثير ج ٢ ۹ ص ٨٤ - ٨٦ .
(٢) الكوثر : الآيات ١ - ٢ .

سنكتب ما يقول :

والعاص بن وائل هذا له موقف مع الصحابى الجليل خَبّابُ ابن الأرَتّ وكان قَيْنًا (حداداً) يعمل السيوف بمكة فعمل للعاص عملا حتى كان له عليه مالٌ فجعل يتقاضاه منه فقال العاص :

يا خبّاب : أليس يزعم محمدٌ صاحبكم الذى أنت على دينه أن فى الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم ؟ !

قال خباب : بلى .

قال فأنظرنى إلى يوم القيامة يا خبّاب حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك حقك هنالك ، فوالله لا تكون أنت وصاحبك يا خبّاب آثر عند الله منّى ، ولا أعظم حظًّا فى ذلك .. فنزل فيه قوله تعالى :

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ ﴾[1]

☆ ☆ ☆

لولا أنزل عليه ملك :

قال ابن هشام :[2]

ودعا رسول الله – ﷺ – قومه إلى الإسلام وكلمهم فأبْلَغَ إليهم

(١) مريم : الآيات ٧٧ – ٨٠ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٨٣ ، ج ٢ ص ٣٦ ، وابن كثير ٢ / ٨٥ .

فقال له نفر منهم (ذكر أسماءهم) يا محمد : لو جُعل معك مَلَكٌ يحدث عنك الناس ويرى معك ؟ !

فى هذا يقول القرآن الكريم :

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (١)

ويقول :

﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ ﴾ (٢)

ومن الواضح أن مراد القرآن هو إشعار هؤلاء الناس باستحالة إنزال الملك لمصاحبة الرسول - ﷺ - لسببين .

الأول : أنه لو أُنزل فسينزل على صورة بشرية وعندئذ يبقى الالتباس ولا يكون ثمة فائدة من نزوله .

الثانى : أنه لو كان أهل الأرض ملائكة لأرسل الملك إليهم ، وما داموا بشراً فرسول الله إليهم هو سيد البشر- صلوات الله عليه - .

☆ ☆ ☆

(١) الأنعام : الآيتان : ٨ - ٩ . (٢) الإسراء : الآية ٩٥ .

ولقد استهزىء برسل من قبلك :

قال ابن هشام :[1] ومر رسول الله - ﷺ - بنفر من قريش - سماهم - فهمزوه واستهزءوا به فغاظه ذلك ، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (٢)

وثمة آيات كثيرة جاءت فى كتاب الله تعالج هذا الموضوع .. موضوع المستهزئين بالرسول - ﷺ - وبرسالته .. وهي فى جملتها تدور فى محورين :

(أ) المحور الذى عبّرت عنه الآية السابقة ، وهو إعلان سوء المنقلب وبئس المصير لكل من آذوا رسل الله من قبل ومن يؤذون رسولنا - صلوات الله عليه - ، وذلك مثل قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

وقوله تعالى ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ (٣)

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧ ، وابن كثير ٢ / ٨٥ .

(٢) الأنعام : الآية ١٠ . (٣) الأنعام : الآية ١٤٧ .

وقوله تعالى :

﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٢)

وقوله تعالى :

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ (٣)

---

(١) يونس : الآية ٤١ . (٢) الرعد : الآية ٣٢ . (٣) سورة الحج : الآيات ٤٢ – ٤٥ .

وقوله تعالى :

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (١)

☆ ☆ ☆

أما النوع الثانى من الآيات التى تحدثت عن المكذبين والمستهزئين فقد اتجهت إلى التهوين على الرسول - ﷺ - ومواساته والربط على قلبه وذلك بالإشارة إلى من سبق أن كُذبوا من الأنبياء والرسل وذلك من مثل قوله تعالى :

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ ﴾ (٢)

وقوله تعالى :

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾

(١) فاطر : الايتان ٢٥ - ٢٦ . (٢) آل عمران : الآية ١٨٤ .

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ (٢)

وقوله تعالى : ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾ (٣)

☆ ☆ ☆

أجعل الآلهة إلهاً واحداً : (٤)

قال ابن هشام : لما ثقل المرض بأبي طالب عم النبي - ﷺ - مشى إليه أشراف قومه ليكلموه فى أمر النبي - ﷺ - فقال لهم الرسول - ﷺ - :

---

(١) الأنعام : الآيات ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ .

(٢) الحجر : الآيات ٩٤ - ٩٩ . (٣) سورة فاطر : الآية ٤ . (٤) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٥٨ - ٦٠ .

« كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم » .

فقال له أبو جهل .. نعم وأبيك وعشر كلمات .

قال : تقولون لا إله إلا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه .

قال : فصفقوا بأيديهم ثم قالوا : أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن أمرك لعجب .

عن هذا الموقف يتحدث القرآن الكريم منكراً على الكافرين ما هم فيه منذراً لهم بسوء المنقلب وعقبى نظرائهم من المكذبين السابقين وذلك فى قوله تعالى :

﴿ وَعَجِبُوٓاْ
أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ
ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ
ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا
فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ
بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ ﴾ (١)

---

(١) ص : الآيات ٤ – ٨ .

وفى مواطن أخرى من القرآن يتكرر الحديث عن النموذج نفسه نموذج الضالين المكذبين الذين يظنون أن استمساكهم بآلهتهم هو الحق ، غافلين عما ينتظرهم من سوء المصير فى مثل قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ (١)

ومثله قوله تعالى :

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ ﴾ (٢)

وقوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (٣)

---

(١) الفرقان : الآيتان ٤١ – ٤٢ .

(٢) الصافات : الآيتان ٣٥ – ٣٦ .

(٣) الزخرف : الآيتان ٥٧ – ٥٨ .

حديث الإسراء والمعراج :

روى البخارى[1] بسنده إلى جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – أنه سمع رسول الله – ﷺ – يقول :

لما كذبتنى قريش قمتُ فى الحجر فجلا الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » .

وقال ابن هشام[2] : حدثنا زياد بن عبد الله البكائىّ عن محمد ابن إسحاق المطّلبى قال :

« ثم أُسري برسول الله – ﷺ – من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس من « إيلياء »[3] وقد فشا الإسلام بمكة فى قريش وفى القبائل كلها .

وقال[4] : وحُدّثت عن الحسن – يعنى البصرى – أنه قال :

قال رسول الله – ﷺ – : « **بينما أنَا نائمٌ فى الحجر إذ جاءنى جبريلُ فهَمَزنى بقدمه فجلستُ فلم أَرَ شيئاً ، فعدتُ إلى مضجعى ، فجاءنى الثانية فهمزنى بقدمه ، فجلست فلم أر شيئاً فعدتُ إلى مضجعى ، فجاءنى الثالثة فهمزنى بقدمه فجلست فأخذ بعضدى ، فقمتُ فخرجتُ**

---

(١) البخارى ج ٢ ص ٢٢٦ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٦ – ٤٤ ، ومثله فى سيرة ابن كثير ج ٢ ص ٩٣ وما بعدها .

(٣) إيلياء ،بكسر أوله واللام والف ممدودة بعد الياء : مدينة بيت المقدس (القدس)

سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٨ .

معه فخرج بى إلى باب المسجد فإذا دابةٌ أبيض بين البغل والحمار فى فخذيه جناحان يَحْفِزُ[1] بها رجليه ، يضع يديه فى منتهى طرْفه ، فحملنى عليه ، ثم خرج معى لا يفوتنى ولا أفوته .

قال الحسن :

فمضى رسول الله - ﷺ - ومضى جبريل - عليه السلام - معه حتى انتهى به إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء فأمّهم رسول الله - ﷺ - فصلى بهم ، ثم أُتِيَ بإناءين فى أحدهما خمرٌ ، وفى الآخر لبنٌ .. قال : فأخذ رسول الله - ﷺ - إناء اللبن فشرب منه وترك إناء الخمر .

قال : فقال له جبريل - عليه السلام - هديتَ للفطرة وهديت أمتك يا محمد وحرّمت عليكم الخمر ، ثم انصرف رسول الله - ﷺ - إلى مكة .

فلما أصبح غدَا على قريش فأخبرهم الخبر ، فقال أكثر الناس : هذا والله الإمر البيّن [2] والله إن العير لتُطْرَدُ شهراً من مكة إلى الشام مدبرةً وشهراً مقبلة . أفيذهب ذلك محمدٌ فى ليلة واحدة ويرجع إلى مكة ؟ ! !

قال : فارتدّ كثير ممّن كان أسلم .

---

(١) يدفع بها (٢) الأمر بكسر الهمزة : المنكر العجيب

قال ابن هشام : [1]

وحدثنى بعض آل أبى بكر ، أن عائشة – رضى الله عنها – زوج النبي – ﷺ – كانت تقول : « ما فقد جَسد رسول الله – ﷺ – ولكن الله أسرى بروحه » .

ونقل ابن إسحاق كذلك رواية تنسب إلى معاوية بن أبى سفيان قال عن الإسراء : إنه كان « رؤيا من الله تعالى صادقة » .

وثمة كلام كثير فى الموضوع جعل ابن إسحاق يقول[2] :

« وكان رسول الله – ﷺ – فيما بلغنى – يقول : « تنام عيناي وقلبي يقظان » .

ثم يعلق على ما روى فى حادث الإسراء بقوله : « والله أعلم أى ذلك كان ؛ قد جاءه وعاين فيه ما عاين من أمر الله على أيّ حاليه كان نائماً أو يقظان ؛ كل ذلك حقّ وصدق » .

هذا ما تناقلته السير وهو كثير :

* * *

أما حديث الإسراء فى القرآن الكريم فقد جاء موجزاً فى قوله تعالى :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [3]

(1) السيرة لابن هشام ج٢ ص ٤٠ . (2) المصدر السابق ص ٤١ (3) الإسراء : الآية ١ .

وكذا قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾ (١)

وذلك على ما روى عن الحسن البصرى – رضى الله عنه – من قوله :

وأنزل الله تعالى فيمن ارتدّ عن إسلامه لذلك قوله تعالى : « **وما جعلنا الرؤيا التى أريناك** » الآية (٢)

ويذهب آخرون إلى أن الآية الأخيرة مقصودٌ بها ما رآه الرسول – ﷺ – عندما عُرج به إلى السموات العلى ..

ومهما تكن الآراء فما ورد فى القرآن الكريم عن الإسراء يعتبر قليلا بالنسبة لحجم الحدث وما أثار من أحاديث .

وذلك من خصائص البيان القرآنى التى أشرنا إليها فى مقدمة هذا البحث وقلنا إن عرض السيرة فى القرآن يختلف عنه فى كتب السيرة ، وأن البيان القرآنى للأحداث يختلف إيجازاً وإطناباً ليس بحسَب حجم الحدث من المنظور البشرى ولكن بحسب ما تقتضيه الحكمة الربانية .

---

(١) الإسراء : الآية ٦٠ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٤٠ .

فربما كان الإيجاز هنا مقصوداً لذاته لابتلاء صدق الإيمان من زيفه لدى أتباع الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – ، بدليل أن بعض من كانوا على الإسلام لما سمعوا بحديث الإسراء والمعراج ارتدوا عن الإسلام .. وهذا ما جعل بعض المفسرين – كما أشرنا – يذهب إلى أن آية

﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾

تشير إلى الإسراء ونزلت فيه وأنها نبوءة وتقرير لما حدث بالفعل من بعض من افتتنوا من المسلمين .

وربما كانت لله – تبارك وتعالى – فى ذلك حكمة لا نستطيع إدراكها لكن هكذا جاءت أحداث السيرة فى البيان القرآنى دافعة إلى التفكير والتأمل فى كل حال .

☆ ☆ ☆

استماع الجن للقرآن :

وقبل أن نسجل ما جاء فى السيرة وما جاء فى القرآن الكريم عن « الجن » نود التنبيه إلى ما سيلحظه القارىء الكريم من أن البيان القرآنى قد أفاض فى حديث الجن وعرض لذكرهم مرتين : مرة فى سورة الأحقاف ومرة فى السورة التى تحمل اسمهم فى القرآن الكريم .

والسورتان معاً تؤكدان أن الله تبارك وتعالى قد صرف نفراً من الجن إلى الرسول – ﷺ – يستمعون القرآن منه . فلما استمعوا

إلى القرآن أعجبوا به واستجابوا له ، وهداهم الله - تبارك وتعالى - إلى الإسلام ، ثم عادوا إلى قومهم لينذروهم وليدعوهم إلى ما استمعوا إليه .

ولقد أعطت الآيات الواردة عن « الجن » فى القرآن تفصيلات كثيرة عنهم - لا من ناحية تكوينهم وخصائصهم - ولكن من ناحية أثر القرآن فيهم ودخول بعضهم فى الإسلام وإعراض بعضهم عنه وهو مالا يمكن الوقوف عليه بحال إلا بإخبار صادق من كتاب الله .

كما تحدثت الآيات كذلك عن حراسة السماء من الجن وكانوا من قبل يسّمّعون إلى بعض ما يدور بين ملائكة الله فى الملأ الأعلى ، فلما أطلّت البعثة المحمدية حرست السماء بالشهب على ما جاء فى سورة الجن وسورة الصافات وحيل بينهم ، وبين السماء :

﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (١)

☆ ☆ ☆

تفصيل هنا وإجمال هناك

ولقد يرد فى الخاطر مثل هذا التساؤل : لماذا أعطى القرآن تفصيلات فى أمر « الجن » بينما أوجز فى الحديث عن الإسراء والمعراج مع أنهما مغيّبان على الناس كذلك ؟

---

(١) الصافات : الآية ١٠ .

وأقول : إن هذه بعض خصائص البيان القرآنى فى عرضه للسيرة النبوية كما أشرت فى مقدمة هذا البحث ، وبوسعنا أن نجتهد فى التعليل بَيْدَ أن الحق أن هذا بعض حكمة الله تبارك وتعالى التى تعجز عن إدراكها العقول .

* * *

وإليكم ما جاء فى السيرة وفى القرآن عن استماع الجن للقرآن :

روى البخارى[1] بسنده إلى معن بن عبد الرحمن قال : سمعت أبى قال : سألت مسروقاً : من آذن النبى - ﷺ - بالجن ليلة استمعوا القرآن ؟ فقال : آذنت بهم شجرة .

وروى البخارى بسنده إلى أبى هريرة - رضى الله عنه - أنه كان يحمل مع النبى - ﷺ - إدَاوَة[2] لوضوئه ، وحاجته .

فبينما هو يتبعه بها فقال - يعنى الرسول - ﷺ - من هذا ؟ فقال : أنا أبو هريرة . فقال : أبْغِنى أحجاراً أسْتَنْفِض بها[3] ولا تأتنى بعظم ولا بروثة .

فأتيته بأحجار أحملها فى طرف ثوبى حتى وضعتها إلى جنبه ، ثم انصرفت حتى إذا فرغ مشيت فقلت : ما بال العظم والروثة ؟

---

(١) صحيح البخارى ج ٢ ص ٣٢٢ باب : ذكر الجن وقول الله تعالى : قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن .

(٢) الإداوة : بالكسر إناء صغير من جلد يتخذ للماء .. الخ .

(٣) استنفض : أى استنجى بها وهو من نفض الثوب ؛ لأن المستنجى ينفض عن نفسه الأذى بالحجر

قال : هما من طعام الجن ، وإنه وفد جنّ نصيبين ، ونعم الجن فسألونى الزاد فدعوت الله لهم أن لا يمرّوا بعظمة ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعاماً » .

وروى ابن هشام :[1] عن ابن إسحاق :

« ثم إن رسول الله – ﷺ – انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خبر ثقيف ، حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلى فمر به نفر من الجن .. فاستمعوا له ، فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا .

عن هذا يتحدث القرآن الكريم فى قوله تعالى :

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٣ ، وانظر : سيرة ابن كثير ج ٢ ص ١٥٣ ، وانظر : تفسير سورة الجن لابن كثير ج ٤ صـ ط الحلبى .

رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا
لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا
نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾
وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا
مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن
نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ
ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا
ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ ﴾(١)

وقوله تعالى :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ
إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ
فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا
كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ
طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ

---

(١) سورة الجن : الآيات ١ – ١٤ .

لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [1]

☆ ☆ ☆

بيعة النساء :[2]

ونقل ابن كثير فى تفسيره[3] ما رواه الإمام البخارى عن عروة أن عائشة زوج النبى - ﷺ - أخبرته أن رسول الله - ﷺ - كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ ﴾

قال عروة : قالت عائشة : فمن أقرّ بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله - ﷺ - : قد بايعتك - كلاماً - ، ولا والله ما مست يده يد امرأة فى المبايعة قط ، ما يبايعهن إلا بقوله : « قد بايعتك على ذلك » . هذا لفظ البخارى ..

وروى الإمام أحمد عن أمية بنت رقيقة[4] قالت :

أتيت رسول الله - ﷺ - فى نساء لنبايعه ، فأخذ علينا ما فى القرآن « أن لا نشرك بالله شيئاً .. » الآية ؛ وقال : « فيما

(١) سورة الأحقاف : الآيات ٢٩ - ٣٢ .

(٢) بن هشام ج ٢ ص ٧٥ وانظر : دلائل النبوة للبيهقى ج ٢ ص ١٧٦ .

(٣) مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٨٧ .

(٤) أخت السيدة خديجة عن المصدر السابق هامش رقم ٢ .

استطعتُنّ وأطعتُنّ » قلنا : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ؛ وقلنا يا رسول الله : ألا تصافِحُنا ؟ قال : إنى لا أصافح النساء ؛ إنما قولى لامرأة واحدة قولى لمائة امرأة[1] . .

وعن سلمى بنت قيس – وكانت إحدى خالات رسول الله – ﷺ – وقد صلّت معه القبلتين قالت : ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف ، قال : « ولا تغششن أزواجكن » .

قالت : فبايعناه ثم انصرفنا فقلت لامرأة منهُنّ : ارجعى فسلى رسول الله – ﷺ – : ما غش أزواجنا ؟ فسألته فقال : « **تأخذ ماله فتحابى به غيره** » .

وروى الإمام أحمد ، عن عائشة بنت قدامة – يعنى ابن مظعون – قالت : قال : ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ، ولا تعصيننى فى معروف – قلن نعم – فيما استطعن – قالت : فكن يقُلن وأقول معهن ، وأمى تقول لى : أى بنية نعم ، فكنت أقول كما يقلن .

هذا بعض ما جاء فى كتب السيرة عن بيعة النساء وهو كما ترى كثير ، وحافل بالتفصيلات .

أما القرآن الكريم فى تناوله لهذا الحديث فقد لخصه فى قوله تعالى :

---

(١) أخرجه أحمد والترمذى والنسائى .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾[1]

ويلاحظ أن البيان القرآنى لخّص الأسس التى تتمُّ عليها بيعة النساء لرسول الله - ﷺ - وهى المطلوب فقط منهن ؛ لأن ما وراء ذلك لا حاجة إلى تفصيل القول فيه لأنه إذا تم الالتزام بالمبادىء أصبح الوصول إلى التفاصيل هو المردود المتوقع ...

وتلك بلاغة القرآن .

(١) الممتحنة الآية : ١٢

الإذن بالقتال :

قال ابن هشام : قال محمد بن إسحاق المطلبي[1] :

« كان رسول الله - ﷺ - قبل بيعة العقبة الأولى - لم يؤذن له فى الحرب ولم تحل له الدماء ، إنما يؤمر بالدعاء والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل ، وكانت قريش قد اضطهدت من اتبّعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ، فهم من بين مفتون فى دينه ومعذب فى أيديهم وبين هارب فى البلاد فراراً منهم ، منهم من بأرض الحبشة ، ومنهم من بالمدينة ، وفى كل وجه فلما عتت[2] قريش على الله - عز وجل - وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة وكذبوا نبيه - ﷺ - أذن الله - عز وجل - لرسوله - ﷺ - فى القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم .

عن هذا يتحدث القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) السيرة لابن هشام ج ٢ ص ١١٠ - ١١١ .

(٢) خالفت أمره وعصته .

لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٢)

٭ ٭ ٭

ولعل من الجدير بالملاحظة أن البيان القرآنى عندما تحدث عن الإذن بالقتال للرسول - ﷺ - والذين آمنوا معه قد أوضح دوافع هذا الإذن ، وأنها لدفع الظلم عن أولئك المقهورين ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله .. وهذا لون جديد فى بيان حكمة مشروعية القتال دفاعاً عن العقيدة المضطهدة ، والتى حال المشركون بين المسلمين وبين ممارستها فى ديارهم .

فليس القتال طمعاً فى أرض الآخرين ، ولا عدواناً عليهم ولكنه فقط لمجرد الوصول إلى حرية العبادة والتمكن من ممارسة الدين الذى ارتضوه لأنفسهم وارتضاه لهم الله .

---

(١) الحج : الآيات ٣٩ - ٤١ .

(٢) الأنفال : الآية ٣٩ .

وفى الآيات كذلك بيان وتوضيح لأهداف هذه الأمة الناهضة التى أُذن لها بالقتال لتصل بنفسها وبالآخرين إلى مجتمع كريم يُخافُ فيه الله ويعبد وحده بلا شريك ويُخَلّى بين الناس وبين الخير يعيشونه فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون المجتمع الكريم الذى لا طغيان فيه ولا طواغيت .

☆ ☆ ☆

وجدير بالملاحظة كذلك أن هذه الآيات جاءت فى مناخ شديد الملاءمة من الآيات الأخرى التى سبقتها وأعقبتها .

فقبلها جاء قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ (١)

وهو بيان وإعلان للمشركين والطغاة أنّ هذه القوة الجديدة التى ستعطى الإذن بالقتال قد كُفِلَتْ لها الحماية الإلهية ؛ لأنها جماعة حق وخير .. وما دامت كذلك تنتصر لما أمرها به الله فهى منصورة أبداً بأمر الله .

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ ﴾ (٢)

وتأتى بعدها آيات تتحدث فى تهديد ووعيد عن أصناف من السابقين كذبوا رسلهم واعترضوا بالباطل طريق الحق فأخذهم الله

---

(١) الحج : الآية ٣٨ .

(٢) الحج : آلاية ٤٠

أخذ عزيز مقتدر وذلك في قوله تعالى :

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ [1]

☆ ☆ ☆

أما الآية الثانية

فقد سبقت هى الأخرى بإنذار مماثل للكافرين بأن يُخلّوا ما بين الناس وبين دعوة الحق ، وإلا فمصيرهم مصير سابقيهم من المستكبرين والطغاة وذلك فى قوله تعالى :

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [2]

☆ ☆ ☆

المؤامرة لقتل الرّسول :

قال ابن هشام :[3] قال ابنُ إسحاق :

« ولما رأت قريش أن رسول الله - ﷺ - قد صارت له

---

(١) الحج : الآية ٤٢ - ٤٥ .

(٢) الأنفال : الآية ٣٩ .

(٣) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٢٤ .

شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم عرفوا أنه قد أجمع لحربهم .. فاجتمعوا له فى دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون فى أمره - ﷺ - .

فاجتمع أشراف قريش من بنى عبد شمس ، ومن بنى نوفل بن عبد مناف ، ومن بنى عبد الدار بن قصى ومن بنى أسد بن عبد العزى وغيرهم ، فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما رأيتم فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتّبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأياً .

فقال قائل : نحبسه فى الحديد ونغلق عليه باباً حتى يصيبه ما أصاب أشباهه من الشعراء قبله .

وقال قائل : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فإذا خرج عنا فوالله ما نبالى أين ذهب ولا حيث وقع .

فقال أبو جهل بن هشام :

والله إن لى فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد .

قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً نسيباً وسيطاً[1] ، ثم نعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعاً فلم

(١) الوسيط : الشريف فى قومه . (٤)

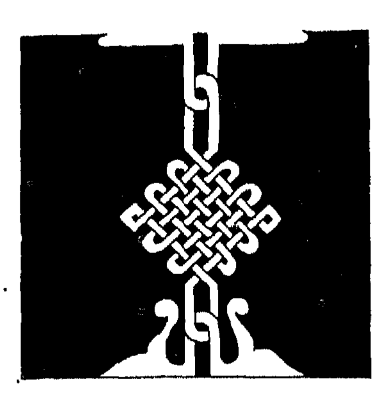
يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً .

إلى هذا يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى :

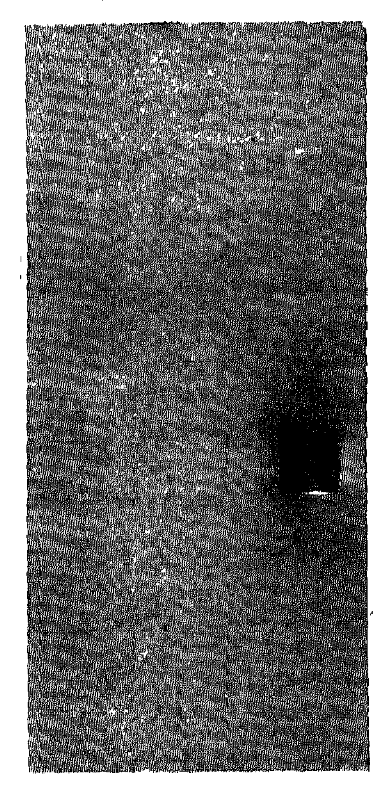
﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (١)

* * *

(١) الأنفال : الآية ٣٠ .



الهجرة من مكة إلى المدينة



المؤامرة :

وتصديقا لوعد الحق تبارك وتعالى ونصرةً من الله لنبيه - ﷺ - فقد أتاه جبريل عليه السلام فقال.[١] لا تبت الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه .

قال : فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه ؛ فلما رأى رسول الله - ﷺ - مكانهم قال لعلي بن أبي طالب : نمْ على فراشي وتَسَجَّ[٢] ببردى . فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى :

« وخرج عليهم رسول الله - ﷺ - فأخذ حفنة من تراب فى يده - وأخذ الله على أبصارهم فلا يرونه - فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات من سورة يس - من أولها إلى قوله تعالى :

﴿ فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ ﴾[٣]

---

(١) ابن هشام ج ٢ ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٢) تسجى : غطى وجهه وجسده .

(٣) سورة يس : الآية ٩ .

حتى فرغ رسول الله - ﷺ - من هـذه الآيات ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب .

قال : فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا : محمداً ، قال : خيبكم الله ؛ قد والله خرج عليكم محمد وما ترك منكم رجلا إلا وضع على رأسه تراباً ثم انطلق لحاجة .

وكانت هذه الليلة ليلة الهجرة من مكة إلى المدينة نهاية العهد المكى من الرسالة المحمدية وبداية العهد المدنى الجديد الذى تكوّنت فيه دولة الإسلام فى المدينة ، وكان لها مع التاريخ شأن أى شأن .

غار ثور وذات النطاقين :

قال ابن هشام :[1] « فلما أجمع رسول الله - ﷺ - على الخروج أتى أبا بكر بن قحافة - رضي الله عنه - فخرجا من خوخة لأبى بكر فى ظهر بيته ، ثم عمدا إلى غارٍ بجبل ثور فدخلاه » .

وقال : « وانتهيا إلى الغار ليلاً ، فدخل أبو بكر - رضى الله

---

(١) السيرة لابن هشام ج ٢ ص ١٣٠ وما بعدها .

عنه – قبل رسول الله – ﷺ – ، فلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حية ؟ ليقى رسول الله – ﷺ – بنفسه » .

ثم قال : فأقام رسول الله – ﷺ – فى الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر ، وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن يرده عليهم .

كان عبد الله بن أبي بكر يكون فى قريش نهاره معهم ، يسمع ما يأتمرون به ، وما يقولون فى شأن رسول الله – ﷺ – وأبى بكر ، ثم يأتيها إذا أمسى فيخبرهما الخبر .

وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر – رضى الله عنه – يرعى فى رعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر ، فاحتلبا ، فإذا غدا عبدالله بن أبى بكر من عندهما اتّبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يُعَفِّى عليه .

حتى إذا مضت الثلاث وسكن عنهما الناس ، أتاهما صاحبهما الذى استأجراه[1] ببعيرهما وبعير له وأتتهما أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها – بسُفْرَتِها ، ونسيت أن تجعل لهذا عصاما[2] ، فلما

(١) كان أبو بكر – رضى الله عنه – قد استعد لمثل هذا اليوم فاستأجر عبد الله بن أرقط – ويقال : أريقط – وكان مشركا ليدلهما على الطريق . انظر ابن هشام ج ٢ ص ١٢٩ .
(٢) العصام : ما تعلق به السفرة وغيرها .

ارتحلا ذهبت لتعلّق السفرة فإذا ليس لها عصام فحلت نطاقها - ويقال : شقت نطاقها - فعلقت السفرة بواحد وانتطقت بالآخر ، ولذا سمّيت بذات النطاقين .

☆ ☆ ☆

عن الهجرة وما حدث فى الغار يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (١)

☆ ☆ ☆

تعبير وتعبير

لقد عالجت كتب السيرة أحداث الهجرة من خارجها : تآمر الكفار ، وإقدامهم على محاولة قتل الرسول - ﷺ - وما حدث ساعة خروج الرسول من أخذ الله لأبصارهم عنه ، ثم اشتغالهم بالبحث عنه ورصدهم الجوائز لمن يأتيهم به .. إلى آخره .

---

(١) التوبة · آية ٤٠ .

لكن بيان القرآن يعطى للأحداث مذاقاً آخر ، فيه استخلاص حكمة الحدث كله والدلالة على موطن الاعتبار فيه ، وبيان أن هذا النبي الداعى إلى الحق منصور بإذن الله وتأييده سواء استجاب له الناس أو قاوموه ، ولذا يأتى مطلع الآية التى تتحدث عن ليلة الهجرة ليؤكد هذا المعنى فى قوله :

﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله﴾[1] ومعنى هذا أن على المؤمنين ألا يتقاعسوا عن نصرته وطاعة أمره فى المكره قبل المنْشَط .

يدلّ على هذا المناخَ المحيط بذكر حديث الهجرة فى القرآن .. وهومناخ الدعوة إلى الجهاد فى سبيل الله والصبر على مشاق هذه الدعوة ، والذى دلت عليه الآيتان السابقتان وهما قوله تبارك وتعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟

---

(١) التوبة : آية ٤٠ .

يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[1]

ولبيان القرآن هنا ميزة أخرى لأنه قد وصف أعماق الجانب البشرى فى الرسول الإنسان - ﷺ - الذى يطمئن صاحبه ويربط على قلبه فى ساعة الروع الأكبر ويقول له : « **لا تحزن إن الله معنا** » وهى إشارة بليغة إلى أثر من آثار صنائع الطاقة الإيمانية الهائلة التى لم يفقد صاحبها ثقته لحظة فى صدق وعد الله . ولذا استحقت أن ينصرها الله وينزل على الرسول - ﷺ - وصاحبه سكينته ويؤيده بجنود لم يرها أحد .

☆ ☆ ☆

وثمة ميزة ثالثة لبيان القرآن وهى : أن كتب السيرة تكتفى أو قد اكتفت فى هذا الحادث بعرض ما جرى يوماً بعد يوم من غير أن تحاول الإفادة به .

لكنه فى البيان القرآنى يأتى - كما أشرنا - تعقيباً على أمر وتقدمة لآخر ، وهو بينهما النموذج الذى يعرضه القرآن لكى لا يرتاب الناس فيما يُدْعَوْن إليه من الجهاد فى سبيل الله والصبر على مشاق الدعوة ولذا نراه يعقب على ما جرى فى الغار بقوله تعالى :

---

(١) التوبة : الآيتان : ٣٨ - ٣٩ .

﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (١)

وهذا هو الفارق بين السيرة فى كتب السيرة ، والسيرة فى بيان القرآن .

☆ ☆ ☆

الرسول - ﷺ - فى المدينة

أول الأعمال بناء المسجد :

قال ابن كثير - رحمه الله - :(٢)

ولما حلّ الركاب النبويّ بالمدينة وكان أول نزوله بها فى دار بنى عمرو بن عوف وهى « قباء » فأقام بها أياماً بنى فيها مسجده بقباء : أول مسجد بنى فى الإسلام .

ونقل عن البيهقى عن ابن عائشة : لما قدم رسول الله - ﷺ - المدينة جعل النساء والصبيان يقلن :

طلع البـــدر علينـــا   من ثنيـــات الـــوداع
وجب الشكر علينـــا   مـــا دعـــا لله داع

(١) التوبة : الآية ٤١ .

(٢) سيرة ابن كثير ج ٢ ص ٢٩٢ ، وانظر : ابن هشام ج ٢ ص ١٣٨ .

قال ابن هشام : فأتته وفود القبائل تعرض عليه أن ينزل عندها فى العَدَد والعدة والمنعة ، فقال - صلوات الله وسلامه عليه - كلمته المشهورة عن ناقته « خَلُّوا سبيلها فإنها مأمورة » .

ومضت الناقة برسول الله - ﷺ - حتى إذا أتت دار بنى مالك بن النجار بركت عند المكان الذى بنى فيه مسجده - ﷺ - .

قال : فأمر به رسول الله - ﷺ - أن يبنى مسجداً وعمل فيه بيده ليرغب الناس فى العمل وعمل معه المهاجرون والأنصار وقال قائلهم :

لئن قعدنـا والنبىّ يعمـل لـذاك منـا العمل المضلّـل

وارتجز على بن أبى طالب - رضى الله عنه - يقول :

لا يستوى من يعمر المساجدا يدأبُ فيه قائماً وقاعداً

ومن يُرى عن الغبار حائداً

قال ابن إسحاق - رحمه الله - :[1]

فأقام رسول الله - ﷺ - فى بيت أبى أيوب حتى بنى له مسجده ومساكنه ، ثم انتقل إلى مساكنه من بيت أبى أيوب - رحمة الله عليه - ورضوانه .

صنائع الحب

وعلى ذكر أبى أيوب - رضي الله عنه - نتحدث عن واحدة

---

(١) ابن هشام ج ٢ / ١٤٣

من أصفى حالات الحبّ والحنوّ التى أحاط بها الأنصار رسول الله - ﷺ - فى المدينة .

قال أبو أيوب[1] !

لما نزل رسول الله - ﷺ - فى بيتى نزل فى السُّفْل ، وأنا وأم أيوب فى العُلْو ، فقلت له : يا نبي الله ، بأبى أنت وأمى ، إنى لأكره وأُعْظِم أن أكون فوقك وتكون تحتى ، فاظهر أنت فكن فى العلو ، وننزل نحن فنكون فى السفل ، فقال - ﷺ - :

يا أبا أيوب : إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون فى سفل البيت .

قال : فكان رسول الله - ﷺ - فى سفل البيت وكنا فوقه فى المسكن .

ولقد انكسر لنا حُبٌّ[2] فيه ماء ، فقمت أنا وأم أيوبِ بقطيفة لنا ، ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفاً أن يقطر على رسول الله - ﷺ - منه شيءٌ فيؤذيه !!

أرأيت أيها القاريء الكريم أين كان يقيم رسول الله - ﷺ - عندما نزل مهاجراً إلى المدينة لم يكن يقيم فى بيت أبى أيوبَ بل فى حنايا قلبه وبين عينيه ، وهكذا كان مقامه صلوات الله وسلامه عليه بين أنصاره فى المدينة .. تحتويه الأفئدة أكثر مما تحيط به الأيدى والسواعد ..

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٤٤ .

(٢) الحب : بضم الحاء الجرة الضخمة .

وكما أحيط رسول الله - ﷺ -. بالحب من أنصار المدينة أحيط به كذلك كل من جاء معه من المهاجرين الذين آخى بينهم رسول الله - ﷺ - على نحو لم يرد له فى التاريخ نظير كما هو معروف .

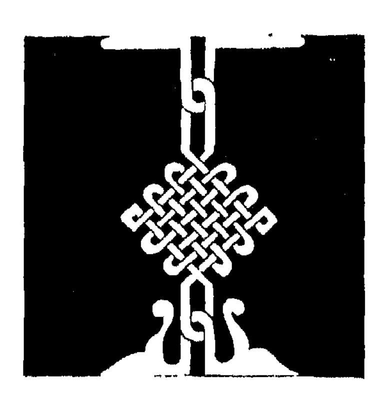
☆ ☆ ☆

ولقد عبّر القرآن الكريم عن هذا فى مثل قول الحق تبارك وتعالى :

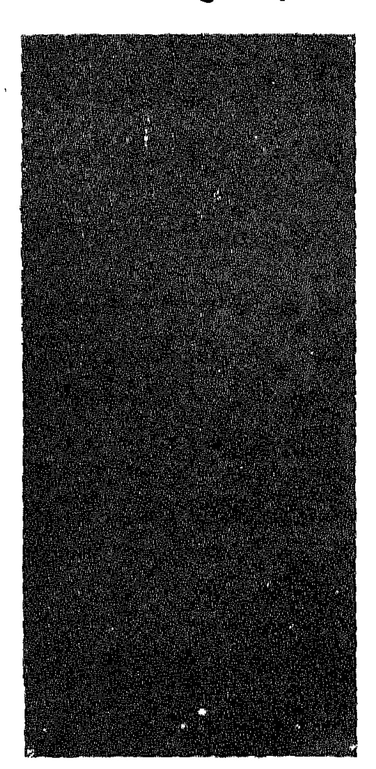
﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (١)

---

(١) سورة الحشر : الآية ٩ .



حديث اليهود في المدينة



مبادرتهم الرسول - ﷺ - بالعداء :

وما أن استقر المقام بالرسول - ﷺ - والمهاجرين معه فى المدينة حتى أخذ اليهود يكيدون لهم ويناصبونهم العداء حقداً وحسداً على ما أفاء عليهم الله من فضله .

يقول ابن إسحاق :[1]

« ونصبت أحبار يهود العداوة لرسول الله - ﷺ - بغياً وحسداً وضِغناً لِمَا خَصّ الله به العرب من أخذه رسوله منهم .

قال : - وكانت أحبار يهود هم الذين يسألون رسول الله - ﷺ - ويتعنتونه[2] ، ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل ، فكان القرآن ينزل فيهم فيما يسألون عنه ، إلا قليلا من المسائل فى الحرام والحلال كان المسلمون يسألون عنها .

وبعد أن ذكر أسماء كبار اليهود قال :

فهؤلاء أحبار اليهود ، وأهل الشرور والعداوة لرسول الله - ﷺ - وأصحابه .. إلا ما كان من عبد الله بن سلامّ .. ومخيريق .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٠ ، ومثله فى ابن كثير ح ٢ ص ٣٤٢ .

(٢) يشقون عليه .

شهادة من أهلها :

ـ ويروى ابن إسحاق :[1] عن صفية بنت حُيَىّ بن أخطب قالت : ما يمكن اعتباره شهادة موثوقة من أهل بيت اليهود بعدائهم للرسول :

كنت أحبّ وَلَد أبى إليه وإلى عمى أبى ياسر ، لم ألقهما قطّ مع ولدٍ لهما إلا أخذانى دونه . قالت : فلما قدم رسول الله – ﷺ – المدينة .. ونزل قُباء فى بنى عمرو بن عوف . غَدَا عليه أبى : حُيَيٌّ بن أخطب وعمىّ أبو ياسر ، فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس ، قالت : فأتيا كالّيْن ، كسلانين ، ساقطين يمشيان الْهُوَينى ، قالت : فهششت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما التفت إلىّ واحدٌ منهما ، لما بهما من الغمّ .

قالت : وسمعت عمىّ يقول لأبى : أهو هو ؟ قال : نعم والله ؛ قال : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم : قال فما فى نفسك منه ؟

قال : **عداوته ما بقيت .**

* * *

وسنرى فيما بعد من ألوان عداوة اليهود للرسول – ﷺ – والمسلمين ما يفوق الحصر ، وما يحرّكه الحقد الشديد على ظهور الإسلام وغلبة محمد – ﷺ – على أعداء الله من المشركين .

---

(١) ابن هشام ج ٢ ص ١٦٥ .

ومع أن القرآن الكريم قد نزلت فيه آيات كثيرة تحدد سمات هؤلاء وتصف النماذج المختلفة من ألوان سلوكهم كما سنرى بعد ..

لكن عداء اليهود فى جملته قد جاء الحديث عنه فى القرآن بمثابة إعلان ، أو حكم لا يقبل الجدل فى مثل قوله تبارك وتعالى :

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (٢).

---

(١) المائدة : الآية ٨٢ .

(٢) آل عمران : الآيات ، ١١٨ – ١٢٠ .

وقوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ (١)

وسنعرض فيما يلى نماذج من عداء اليهود للرسول - صلى الله عليه وسلم - كما اوردتها كتب السيرة ، وكما جاء وصفها فى بيان القرآن .

عداؤهم لجبريل

قال ابن هشام : (٢)

« إن نفراً من أحبار يهود جاءوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : يا محمد : أخبرنا عن أربع قال : فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

---

(١) البقرة : الآيتان ٨٩ - ٩٠ .   (٢) ابن هشام ج ٢ ص ١٩١ .

عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم بذلك لتصدقُنّى قالوا : نعم . قال : فاسألوا عما بدا لكم . فسألوا فأجابهم ثم قال :

أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل هل تعلمونه جبريل ؟ وهو الذى يأتينى ؟ قالوا : اللهم نعم ، ولكنه يا محمد لنا عدو وهو ملك إنّما يأتى بالشدة وسفك الدماء ولولا ذلك لاتبعناك .

عن هذا المعنى يتحدث القرآن فى قوله تعالى :

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [1]

☆ ☆ ☆

☆ ينكرون ما يعرفون

جاء فى السيرة :[2] "

أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله – ﷺ – قبل مبعثه .

---

(١) البقرة : الآيتان ٩٧ ، ٩٨.

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٩٦ .

فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه : فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ، ونحن أهل شرك وتخبروننا أنه مبعوث وتصفونه لنا بصفته فقال أحدهم : ما جاءنا محمد بشيء نعرفه ، وما هو بالذى كنا نذكره لكم .

وعن هذا يقول القرآن :

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ (١)

☆ ☆ ☆

☆ كما سئل موسى من قبل :

قال ابن هشام : (٢)

وقال رافع بن حريملة ، ووهب بن زيد لرسول الله

(١) البقرة الآية ٨٩ – ٩٠

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٩٧ ، ١٩٨ .

- ﷺ - : يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه وفجّر لنا أنهاراً نتبعْك ونصدقك .

وفى هذا يقول القرآن الكريم :

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (٢)

ومثله ما ورد كذلك فى سورة النساء :

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ ﴾ (٣)

---

(١) البقرة : الآية ١١٨ .   (٢) البقرة : الآية ٥٥ .   (٣) النساء : الآية ١٥٣ .

☆ لولا يكلمنا الله :

روى ابن هشام :[١]

وقال رافع بن حريملة لرسول الله - ﷺ - .. يا محمد : إن كنت رسولاً من الله كما تقول فقل لله ليكلمنا حتى نسمع كلامه .

وعن هذا يقول القرآن الكريم :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [٢]

☆ ☆ ☆

☆ اتبعنا يا محمد تهتد :

قال ابن إسحاق :[٣] وقال عبد الله بن صوريا لرسول الله - ﷺ - : ما الهدى يا محمد إلا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد .. وقالت النصارى : مثل ذلك .

وعن هذا يتحدث القرآن فى قوله تعالى :

---

(١) السيرة لابن هشام ج ٢ ص ١٩٨

(٢) البقرة : الآية ١١٨

(٣) السيرة لابن هشام ج ٢ ص ١٩٨

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ
بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ
وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ
بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) ﴾ (١) .

☆ ☆ ☆

☆ ما ولاّك عن قبلتك ؟ .

جاء فى السيرة :(١) لما صرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة وصرفت فى رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله – ﷺ – المدينة قدم نفر من يهود وقالوا للرسول – ﷺ – :

يا محمد ما ولاّك عن قِبلتك التى كنت عليها ، وأنت تزعم أنك على ملّة إبراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قبلتك التى كنت عليها نتبعك ونصدقك ، وإنما يريدون فتنته عن دينه .

إلى هذا يشير القرآن فى قوله تعالى :

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ
مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ

(١) ابن هشام ج ٢ ص ١٩٨ – ١٩٩ ، وطبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٤١ .

(٢) سورة البقرة : الآيات ١٤٢ – ١٤٥ .

يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً
وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا
وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ
مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ
وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ
مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ
وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ (٢)

(١) ، (٢) سورة البقرة : الآيات ١٤٢ – ١٤٥ .

لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس :

جاء فى السيرة :[1]

ولما أصاب الله - عز وجل - قريشاً يوم بدر جمع رسول الله - ﷺ - اليهود فى سوق بنى قينقاع وقال لهم :

يا معشر يهود : أسلموا قبل أن يصيبكم الله بمثل ما أصاب قريشاً .. فقالوا :

يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس .. وأنك لم تلق مثلنا .

عن هذا يتحدث القرآن فى قوله تعالى :

﴿ قُل
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ
كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ
كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾[2]

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٠١ .
(٢) آل عمران : الآيتان ١٢ - ١٣ .

لم تحاجون فى إبراهيم ؟

روى ابن هشام : قال :[1]

« دخل رسول الله - ﷺ - بيتاً لليهود يتدارسون[2] فيه كتابهم ، فدعاهم إلى الله فقال أحدهم :

على أي دين أنت يا محمد ؟ قال على ملة إبراهيم ودينه .. قال : إن إبراهيم كان يهودياً .

فقال الرسول - ﷺ - : فهلم إلى التوراة فهي بيننا وبينكم .. فأبوا عليه الاحتكام إليها ..

وقال بعض النصارى : مثل ذلك ..

عن هذا يتحدث القرآن فى قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [3]

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٠١ .

(٢) فى السيرة دخل بيت المدراس ، وهو بيت لليهود يتدارسون فيه كتابهم ، وتسميه بعض الروايات بيت المدارس والأول أولى .

(٣) آل عمران : الآيتان ٢٣ - ٢٤ .

وقوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَهۡلَ
ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ
بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ
فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦
مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ
مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٨ ﴾ (١)

☆ ☆ ☆

آمنوا وجه النهار واكفروا آخره :

قال ابن هشام : قال ابن إسحاق :(٢)

وقال نفر من أهل الكتاب – سماهم – : تعالوا نؤمن بما أُنزل على محمد وأصحابه غدوة ، ونكفر به عشية ؛ حتى نلبس عليهم دينهم ، لعلهم يصنعون كما نصنع ، ويرجعون عن دينه .

(١) آل عمران : الآيات ٦٥ – ٦٨ .
(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٠٢ .

وفى هذا يقول القرآن الكريم :

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (1)

☆ ☆ ☆

محاولات الوقيعة بين الأوس والخزرج :

قال ابن إسحاق :(2)

مرّ شيخ من يهود عظيم الكفر شديد الضّغن على المسلمين ، شديد الحسد لهم ، مرّ على نفر من أصحاب رسول الله – ﷺ – من الأوس والخزرج فى مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من أُلْفَتهم وجماعتهم ، بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية فقال : قد اجتمع ملأ بنى قَيْلة(3) بهذه البلاد ، ولا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم من قرار .

قال : فأمر شاباً من يهود كان معهم فقال له : اعْمِدْ إليهم ، فاجلس معهم ثم اذكر يومَ بُعاث (4) وما كان قبله ، وأنشدهم ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار .

---

(1) آل عمران : الآية ٧٢ .

(2) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٠٥ .

(3) الملأ : الأشراف .

(4) يومُ بعاث : كان يوم قتال شديد بين الأوس والخزرج ، وفيه انتصرت الأوس .

قال : ففعل الفتى وتكلم القوم حتى أخذوا السلاح وتداعوا إليه ، فبلغ ذلك رسول الله - ﷺ - فخرج إليهم وقال :

يا معشر المسلمين : الله الله .. أبدعوى الجاهلية ، وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام ، وأكرمكم به وقطع عنكم به أمرَ الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف بين قلوبكم ؟

عن هذا يقول القرآن الكريم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٠١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) ﴾(١)

---

(١) آل عمران : الآيات ١٠٠ - ١٠٣ .

تحبونهم ولا يحبونكم :

قال ابن إسحاق :[1] وكان رجالٌ من المسلمين يواصلون رجالاً من اليهود لما كان بينهم من الجوار والحلف فنهوا عن ذلك .

عن هذا يتحدث القرآن فى قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾[2]

* * *

محاولتهم قتل الرسول بالصخرة :

قال ابن هشام : (٣)

وخرج رسول الله - ﷺ - إلى بنى النضير يستعينهم فى دية العامريين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري ، فلما خلا بعضهم إلى بعض قالوا :

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٠٧

(٢) سورة آل عمران الآيات ١١٨ - ١١٩ . (٣) السيرة لابن هشام ج ٢ ص ٢١١ - ٢١٢ .

لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن ، فمن رجل يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه ؟ فقال عمرو بن جحاش أنا .. فأتى رسول الله الخبر فانصرف عنهم .

عن هذه الحادثة يقول القرآن :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (١)

الإيمان المزعوم

روى ابن هشام قال :(٢)

حين أنكر اليهود ما فى كتبهم عن رجم الزانية المحصنة « مشى رسول الله – ﷺ – حتى أتى أحبارهم فى بيت المدراس فقال : يامعشر يهود ؛ أخرجوا إلىَّ علماءكم ، **فأخرجوا له عبد الله بن صُورِيا** . وقالوا : هو أعلم من بقى بالتوراة .

قال : فخلا به رسول الله – ﷺ – وكان غلاماً شاباً من أحدثهم سناً فألظّ به(٣) رسول الله – ﷺ – المسألة يقول له :

(١) سورة المائدة : الآية ١١ .

(٢) السيرة لابن هشام ج ٢ ص ٢١٣ – ٢١٤ .

(٣) ألح وضيق عليه الخناق .

يا ابن صوريا : أنشدك الله وأذكّرك بأيامه عند بنى إسرائيل ؛ هل تعلم أن الله حكم فيمن زنى بعد إحصانه بالرجم فى التوراة ؟

قال : اللهم نعم ؛ أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون أنك نبيٌّ مرسلٌ ولكنهم يحسدونك .

قال : ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا وجحد نبوة رسول الله – ﷺ – :

وفى هذا يقول القرآن الكريم :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ (١)

☆ ☆ ☆

☆ لو أقاموا الكتاب لآمنوا بمحمد

فى السيرة لابن هشام : (٢)

---

(١) سورة المائدة : الآية ٤١ .　　(٢) ج ٢ ص ٢١٧ .

جاء نفر من اليهود إلى رسول الله - ﷺ - وقالوا : يامحمد ألست تزعم أنك على ملّة إبراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد أنها من الله حق ؟ !

قال : بلى ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق ، وكتمتم منها ما أُمرتم أن تبينوه للناس فَبَرِئْتُ من إحْداثكم .

قالوا : فإنا نأخذ بما بأيدينا وإنا على الهدى والحق ولا نتبعك ولا نؤمن بك .

عن هذا الحديث جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[1]

☆ ☆ ☆

☆ إنما هو إله واحد :

فى السيرة لابن هشام :[2]

أن نفراً من اليهود قالوا للرسول - ﷺ -

(١) سورة المائدة : الآية ٦٨ .　　(٢) ج ٢ ص ١٢٧

يا محمد ألا تعلم مع الله إلهاً غيره ؟ فقال - ﷺ - :

الله لا إله إلا هو ، بذلك بُعثت ، وإلى ذلك أدعو .

عن هذا يقول القرآن :

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (١)

☆ ☆ ☆

سؤالهم عن الساعة ؟

فى السيرة لابن هشام : (٢)

جاء نفر من اليهود يطلبون إلى الرسول - ﷺ - أن يخبرهم عن الساعة لكى يؤمنوا به .

وفى القرآن يقول الحق تبارك وتعالى :-

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ

---

(١) الأنعام : الآية ١٩ (٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢١٨

إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ (١)

☆ قل عزير بن الله نتبعك :

جاء فى السيرة : (٢)

نفر من يهود يقولون للرسول - ﷺ - كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وتزعم أن عزيراً ليس ابناً لله ؟

وجاء فى القرآن قوله تعالى :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ
ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ
قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا
مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا إِلَٰهًا وَٰحِدًا
لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (٣)

---

(١) الأعراف : الآية ١٨٧ .

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ٢١٩ .

(٣) التوبة : الآية ٣٠ - ٣١ .

وإلا .. جئناك بقرآن مثله :

جاء فى السيرة .[1]

نفر من يهود يقولون للرسول أن ما جئت به لا يتسق وما فى التوراة ، فقال - ﷺ - بما معناه :

بل هو من عند الله وأنتم تعرفون ذلك .. قالوا : إن كان من عند الله فائتنا به مكتوبا من السماء نقرؤه وإلا جئناك بقرآن مثله .. فقال - ﷺ - :

لو اجتمعت الإنس والجن ما جاءوا بمثله .

أما فى القرآن فيقول الله تبارك وتعالى :

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[2]

☆ ☆ ☆

☆ هل تصف لنا الله : ؟

قال ابن إسحاق :[3] أتى رهط من يهود إلى رسول الله - ﷺ - فقالوا : يا محمد ، هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله ، قال :

---

(١) ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٠ . (٢) سورة الإسراء : الآية ٨٨ . (٣) سيره ابن هشام ج ٢ ص ٢٢١ .

فغضب رسول الله - ﷺ - حتى انتُقعَ لونه[1] ثم ساوَرَهم[2] غضباً لربه ؛ قال : فجاءه جبريل - عليه السلام - فسكّنه وجاءه بجواب ما سألوه عنه :

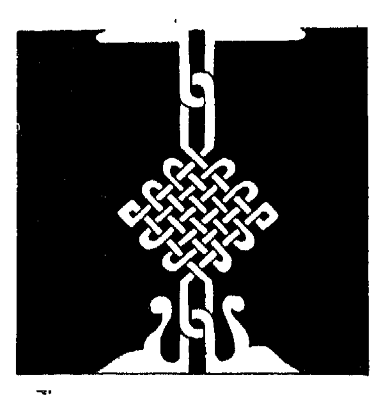
﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ④ ﴾[3]

قال : فلما تلاها عليهم قالوا : فصف لنا الله كيف ذراعه ؟ كيف عضده ؟ فغضب الرسول - ﷺ - أشد من غضبه الأول ، وساورهم . فأتاه جبريل عليه السلام بجواب ما سألوه عنه بقول الله تعالى :

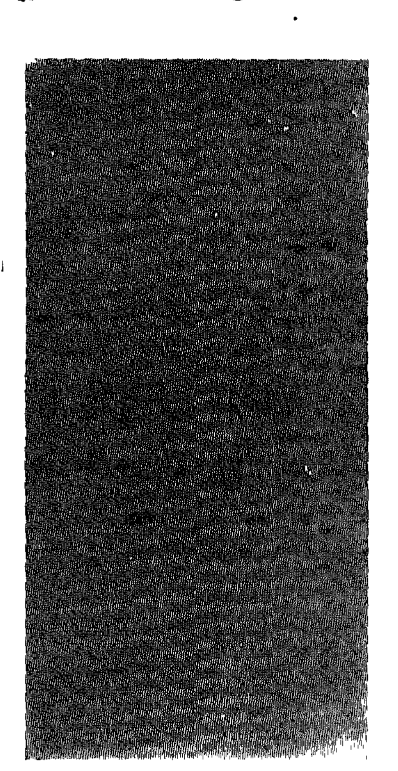
﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ⑥⑦ ﴾[4]

---

(١) انتقع : تغير لونه .
(٢) ساورهم : هم أن يبطش بهم .
(٣) سورة الإخلاص : الآيات ١ - ٤ .
(٤) الزمر : الآية : ٦٧ .



حديث المنافقين فى المدينة



نماذج

(أ) كيف ظهر النفاق ؟

قال ابن هشام :[1] فى معرض حديثه عن عداوة اليهود للرسول : .

« وانضاف إليهم رجال من الأوس والخزرج ممن كان عَسى[2] على جاهليته ، فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك ، والتكذيب بالبعث ، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره ، واجتماع قومهم عليه فظهروا بالإسلام واتخذوه جُنة من القتل ، ونافقوا فى السر .

وكان هواهم مع اليهود لتكذيبهم النبي - ﷺ - وجحودهم الإسلام .

☆ ☆ ☆

وكانت لهذا النفاق سمات وعلامات : منها السخرية من الرسول ، ومنها تمنى خذلانه ، ومنها موالاة عدوه ، ومنها التثبيط عن الجهاد ، ومنها الحديث بالسوء عن أهل بيته ، ومنها محاولة الوقيعة بين المؤمنين واستثارة حمية الجاهلية ، وما إلى ذلك مما كان وحي السماء ينزل على الرسول - ﷺ - ليكشفه أولا بأول كما سنرى بعد .

---

(١) السيرة لابن هشام ج ٢ ص ١٦٠ .

(٢) عسى : بقى على جاهليته .

(ب) بعض المنافقين الذين تحدث القرآن عنهم :

منهم نبتل ابن الحارث [1] وهو الذى قال : إنما محمد أُذُنٌ .. من حدثه شيئاً صدقه . وكان يأتى إلى رسول الله - ﷺ - فيسمع منه ثم ينقل حديثه إلى المنافقين .

وعنه يقول القرآن :

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [2]

ومن هؤلاء : معّتب بنُ قشير الذى قال يوم أحد لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا ها هنا .

وعنه يقول القرآن الكريم :

﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٦٨ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٦١ .

﴿ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ (١)

وهو الذى قال يوم الأحزاب . (٢)

كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط . وفيه يقول القرآن :

﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ (٣)

ومنهم وديعة بن ثابت (٤) .. ممن بنى مسجد الضرار ، وهو الذى قال : إنما كنا نخوض ونلعب .

وعنه يقول القرآن :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (٥)

ومنهم أوس بن فيظى (٦) : الذى قال لرسول الله - ﷺ - يوم الخندق : يا رسول الله إن بيوتنا عورة فأذن لنا لنرجع إليها . وعنه وعن أمثاله يقول القرآن :

---

(١) آل عمران : من الآية ١٥٤ .
(٢) ابن هشام ج ٢ ص ١٦٩ .
(٣) الأحزاب : الآية ١٢ .
(٤) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٧٠ .
(٥) التوبة : آية ٦٥ .
(٦) ابن هشام ج ٢ ص ١٧٠ .

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾ (١)

وكان رأس المنافقين (٢) - عبد الله بن أبى بن سلول - وإليه يجتمعون ، وهو الذى قال فى غزوة بنى المصطلق : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، وفيه نزلت سورة المنافقين . كما نزل فيه قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (٣)

(١) الأحزاب الآيات ١٣ - ١٦ . (٢) ابن هشام ج ٢ ص ١٧٠ . (٣) سورة الحشر : الآية ١١ .

(جـ) المنافقون : سماتٌ وتصرفات

عن هؤلاء المنافقين الذين حفلت السيرة النبوية بالكثير من ألوان نفاقهم يقول القرآن الكريم واصفا خلائقهم :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ
هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ
كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ
هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ
ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ
مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ
فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ (١)

---

(١) سورة البقرة : الآيات ٨ - ١٦ .

كما أنزل الله تبارك وتعالى فى المنافقين سورة بأكملها سماها باسمهم .

☆ ☆ ☆

والحق أن القرآن الكريم قد عنى بتحديد ملامح هؤلاء المنافقين وسماتهم تحديداً بالغ الدقة عميق الدلالة يمكن تلخيص بعضها فيما يلى :

أولاً : أبرز سمات المنافقين هى الكذب .. والكذب فى مضمونه هو حالة تناقض بين ما يبطن المرء ، وبين ما يظهر ، فيعتقد أمراً ويبدى للناس أمراً آخر .

وقد أكد القرآن الكريم فى غير موضع على هذه الصفة فى خلائق المنافقين مشيراً إلى مدى الخطورة التى تقع على المجتمع من ذلك ..

وحسب النفاق والمنافقين سُبّة أنك لا تستطيع فى تعاملك معهم أن تثق فى صحة المقدمات والنتائج ، ومن ثم لا تستطيع أن تضمن الاستقامة لأى أمر ، أو عمل ، أو اتفاق يكون أحد طرفيه واحداً ، أو جماعة من المنافقين .

ولذا كان مفتتح سورة المنافقين إعلاناً ضخماً عن صفة الكذب التى يتصف بها كل منافق وذلك فى قوله تبارك وتعالى :

﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ (١)

ونلاحظ هذا التأكيد الحادّ بأنّ ، وباللام فى قوله : « لكاذبون » . كما نلاحظ العدول عن ضمير الغائب إلى إعادة ذكرهم فى قوله « إن المنافقين لكاذبون » بدل قوله مثلا « إنهم لكاذبون » وذلك لمزيد من التأكيد لتثبيت هذه الصفة التى يوصم بها هؤلاء .

☆ ☆ ☆

أما فى آيات سورة البقرة التى سبق ذكر بعضها فنرى البيان القرآنى يعرض ما يشبه النماذج الدالة على أصالة الكذب فى خُلق كل منافق ، وذلك فى قوله تعالى :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (٢)

وفى القرآن غير هذا كثير من مواقف كذب المنافقين لا يتسع لذكرها المقام .

ثانياً : أشار القرآن إلى ما يمكن به اعتبار النفاق مرضاً من

(١) المنافقون : الآية الأولى

(٢) البقرة : الآية ٨ – ٩ .

أخطر أمراض النفوس تصاب به من طريقين .

إحداهما : طريق الحقد والحسد ، الذى هو سمة ضعف النفوس ، والتواء الفطرة ، وهو داء يعيش مع صاحبه العمر كله ولا خلاص منه إلا فى نار جهنم .. إلا من رحم ربك فمنّ عليه بالشفاء .

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى قوله تعالى فى سورة البقرة :

﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (١)

وثانيهما : هو التذبذبُ وعدم الثبات على الحق ويشير إليه قوله تعالى فى سورة المنافقين :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (٢)

☆ ☆ ☆

ثالثاً : إن المظهرية الخادعة بعض سمات المنافق ، ولذا فمن الملاحظ أن أعظم الناس نفاقاً أعظمهم قدرة على زخرف القول وإلباس الباطل بالحق ، والتظاهر بالإخلاص والمبالغة فى ادعائه . وكثيراً ما ينجحون فى ذلك ، ويجوز خداعهم على ذوى الفطر

(١) البقرة : الآية ١٠ . (٢) المنافقون : الآية ٣ .

النظيفة التى ترى الناس من منظارها الصافى حتى تلدغ من الجحر .

ودلك ما أشار إليه القرآن فى قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ ﴾ (١)

رابعاً : المنافق لا موقف له ولا مبدأ عنده ، وعينه على سيف المعزّ وذهبه ، أو هو كما قالوا : مع الريح ، يميل حيث تميل ..

وهذا ما قرره القرآن الكريم فى مثل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾ (٢)

وفى مواطن أخرى سجل القرآن عليهم هذا التذبذب بين الحق والباطل فى مثل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ

---

(١) المنافقون : الآية ٤ . (٢) النساء : الآيتان ١٤٢ – ١٤٣

يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ﴾ (١)

خامساً : من سمات المنافق ذلك الاستعلاء المظهري الذى يحاول به أن يغطى خواء النفس من يقين الإيمان بالله وما يصنعه من ثقة تكفل لها الطمأنينة فتزداد تواضعاً ، بينما يزداد المنافقون ادعاء وتظاهراً بأن لهم شأناً فى الحياة .. فيصيبهم ذلك بضرب من عمى البصيرة .

هذا المعنى يشير إليه البيان القرآنى فى مثل قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (٢)

وفى مثل قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (٣)

(١) النساء : الآيتان ١٣٧ – ١٣٨ . (٢) البقرة الآيات من ١١ – ١٣ . (٣) المنافقون : الآية ٥ .

حديث الإفك والدور اليهودى

فى كتب السيرة النبوية[1] حديث طويل ومفصل عن هذه القصة : كيف بدأت أثناء غزوة بنى المصطلق ؟ والظروف التى صحبتها ؟ والذين تولّوا كبرها من المنافقين ؟ والذين خاضوا فيها من بعض المؤمنين .

كما أوردها الإمام البخارى فى كتاب المغازى بعنوانها « حديث الإفك » وبتفصيل دقيق مما روته عائشة - رضوان الله عليها - مما يطول هنا ذكره ، ونؤثر لمن شاء أن يلتمسه فى مظانه ، وحسبنا هنا عرض ما جاء عن حديث الإفك فى القرآن الكريم .

وقبل عرض الآيات أود التنبيه إلى ما سبقت الإشارة إليه فى مقدمة هذه الدراسة من أن البيان القرآنى لا يكتفى - مثل ما تفعل كتب السيرة بذكر الأحداث والتفاصيل وإنما ينفرد بتقييمها والحكم عليها ، ثم الخروج منها بالدرس الأكبر وبالتشريع الذى تخضع له مثل هذه الحالات إذا عرضت بعد ذلك فى مجتمعات المسلمين .

فالقرآن فى « حديث الإفك » يقرر الأصول الواجب اتباعها مستقبلا لمواجهة مثل هذا « الإفك » إذا حدث ويطالب من يدعى الإفك أو يشيعه فى الناس بأحد أمرين .

---

(١) ابن هشام ج ٣ ص ٣٠٩ - ٣٢١ ، وابن كثير ٣٠٤ - ٣١٢ .

أولا : إما الإتيان بأربعة شهداء ، وإلا فهو عند الله من الكاذبين .

﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[1]

ثانيا : إذا ثبت كذب صاحب الإفك وعجز عن الإتيان بالشهود فحدّ القذف فى انتظاره

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾[2]

☆ ☆ ☆

ونلحظ هنا تسجيل البيان القرآنى للحرص الشديد من الإسلام على صيانة المجتمع بتشديد العقوبة على مشيعى الفاحشة فهنا عقوبتان دنيويتان : إحداهما بدنية وهى الجلد - والثانية معنوية وهى عدم قبول شهادتهم بعد ذلك . وعدم قبول الشهادة يعتبر بمثابة إنهاء أدبى لقيمة الإنسان الذى يرتكب هذا الجرم . ثم فوق هذا يأتى اعتبارهم عند الله من الفاسقين .

ليس هذا فحسب بل إن العذاب الشديد والطرد من رحمة الله

---

(١) النور آية ١٣ .

(٢) النور آية ٤ .

هو ما ينتظرهم فى الآخرة كما تقرر الآيات :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (١)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٢)

* * *

ولما كانت أطراف ثلاثة قد شاركت فى حديث الإفك **أولهم :** المنافقون الذين تولوا كبره . **وثانيهم :** المؤمنون الذين سارعوا بالتصديق وخاضوا من غير نرو .. **وآخرهم** بيت أم المؤمنين المفترى عليها .. أقول .. لقد عالج البيان القرآنى كل طرف بما يتفق وموقعه من الحدث :

أما المنافقون فقد سبقت الإشارة إلى بعض ما تقرر بشأنهم لكن كبير المنافقين له شأن آخر تقول عنه الآية :

﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ (٣)

---

(١) النور آية ١٩ . (٢) النور الآيات من ٢٣ - ٢٥ . (٣) النور آية ١١ .

وأما المؤمنون الذين تورطوا بلا تروّ فقد عاتبهم القرآن العتاب المرّ الذى كان على النفوس المؤمنة أقسى من ضرب السياط لا سيما وأن الأمر كله دار حول بيت النبوة وكان بسببه ما كان فجاء القرآن ليهز وجدانهم ويعيد إليه حساسيته وحسن تقديره لمثل ذلك فيقول :

﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (١)

ثم يقول :

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ (٢)

ثم ينتهى الى تحذيرهم من التورط مستقبلا فى مثل هذا الإثم العظيم فيقول :

﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (٣)

☆ ☆ ☆

وأما آل بيت أم المؤمنين عائشة الذين كانوا أقسموا أن يمنعوا نفقتهم عن « مسطح » خادمهم الذى شارك فى نشر الشائعة الكاذبة فيحملهم القرآن على العدول عما اعتزموا واعدا إياهم بغفران الله ومثوبته .

(١) النور آية ١٢ . (٢) النور آية ١٥ . (٣) النور آية ١٧ .

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (١)

هذا كان حدث الإفك في القرآن الكريم .. أما ما ورد في كتب السيرة فهو دون ذلك بكثير.

* * *

وفي مواقف كثيرة سيأتي الحديث عنها كل في موضعه . كانت خلائق المنافقين تظهر في شكل تصرفات معاكسة للمسيرة الناهضة المنتصرة لكتائب الإيمان .

فرأينا المنافقين ينخذلون بجماعاتهم يوم أحد ويكون لذلك من الأثر ما يكون .

ورأيناهم يحبون أن تشيع الفاحشة في المؤمنين ويصنعون حديثا وصمه القرآن باسم حديث الإفك أخذوا يبدئون فيه ويعيدون .

ورأيناهم يطمعون في خير الدعوة المنتصرة فإذا أكرمهم الله بخلوا ومنعو الزكاة ..

(١) النور آية ٢٢ .

ورأيناهم يوم الأحزاب ، وفى ساعة العسرة ، يبدو نفاقهم أوضح ما يكون .



لكن من فضل الله أن أسبغ تأييده على رسوله ، وكان جبريل - عليه السلام - يطلعه على المستور من أحوال المنافقين ، فيعالج خلائقهم أولا بأول . ومن ثم لم يستطع سم النفاق أن يصل من جسم الدعوة المنصورة إلى شيء ، وارتدت فى نحورهم كل السهام التى أرادوا تصويبها للمسلمين .

☆ ☆ ☆

ولقد يرد فى الخاطر .. كيف يكون للنّفاق مجال فى مجتمع فيه رسول الله - ﷺ - حَيٌّ قائم بالناس ؟ !

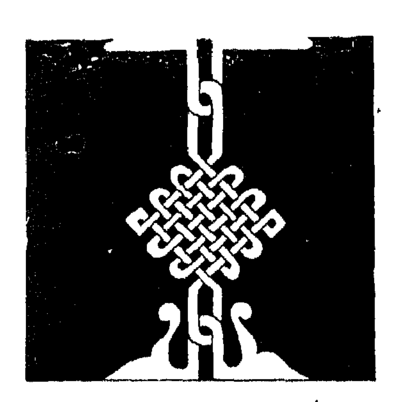
ونقول .. إن النفاق مرض من أمراض النفس ينشأ أكثر ما ينشأ مقترناً بصفتين أساسيتين هما : صفة الجبن ، وصفة الرضى بالهوان ، وقد تكون الثانية وليدة الأولى ولذا فى أى مجتمع تعيش فيه لا ترى منافقاً إلا الجبان العاجز عن إبداء رأيه وحمايته والدفاع عنه .

أما علاقة النفاق بالدين فهى علاقة تضاد ، لأن المنافق يفتقد الإيمان بربه والثقة به ، ولو آمن بربّه لما ضعف وما استكان وجبُن ، وحمل نفسه على ممالأة الأقوياء .

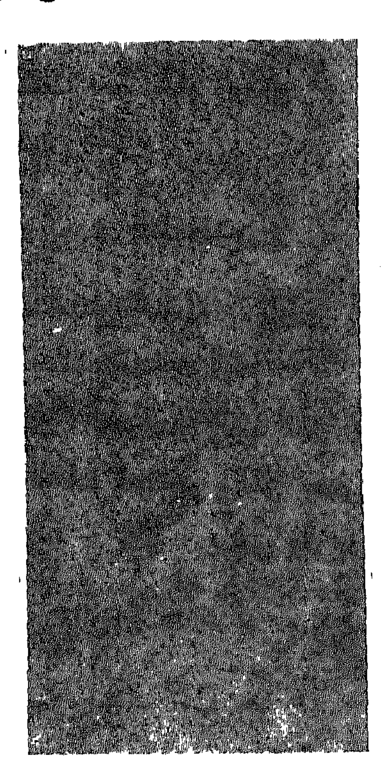
ولو آمن المنافق بربّه لاستيقن أنه ما يصيبه من خير أو شر هو بعض ما قدّر له ، ولو اجتمع الناس على أن يضروه أو ينفعوه ، ما بلغوا إلا ما أراد الله له .

لو آمن المنافق بربه لما نافق ولانحاز إلى صفوف المؤمنين يجاهد كما يجاهدون ويبتلى فى الله كما يبتلون .

لكنه النفاق .. وحديثه يطول .. ولعنة الله على المنافقين فى القديم والحديث فهم أصل كل بلاء .



الغـــزوات والســرايــا



☆ بدر الكبرى :

فى كتب السيرة[1] تفصيل كامل لأحداث هذه الغزوة الكبرى التى فرقت بين الحق والباطل وكسرت شوكة المشركين ، وآذنت بظهور الإسلام وقيام دولته وعزة سلطانها .

وقد بسط لها ابن هشام أكثر من خمس وسبعين صفحة ، كما بسط لها ابن كثير ثلاثين ومائة صفحة لا مجال لتناولها هنا . وتحدث عنها صاحب الطبقات فأطال . أما الواقدى فأفرد لها أكثر من مائة وخمسين صفحة .

بيد أننا اتساقاً مع طبيعة الموضوع ومع الأسلوب الذى اتبعناه فى هذا البحث ، سنقف فقط أمام الوقائع التى وردت فى السيرة وورد لها نظير فى القرآن الكريم .

☆ ☆ ☆

☆ يعدكم الله إحدى الطائفتين :

جاء فى السيرة[2] لما سمع الرسول - ﷺ - بقدوم عير لقريش يقودها أبو سفيان ، انتدب المسلمين إليهم وقال :

هذه عيرُ قريش : أخرجوا إليها لعلّ الله يُنفِلُكُمُوها[3] فانتدب الناسُ ، فخف بعضهم وثقل بعضٌ ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله - ﷺ - يلقى حربا .

---

(1) ابن هشام ج ٢ ص ٥٧ - ٣٤٧ ، وانظر ابن كثير ج ٢ ص ٣٨٠ - ٥١٤، وطبقات ابن سعد ٢ ١١/ - ٢٨ والمغازى ١ / ١٩ - ١٧١ .

(2) ابن هشام ج ٢ ص ٢٥٧ ، وانظر سيرة ابن كثير ج ٢ ص ٣٨٠ .

(3) يجعلها لكم غنيمة .

وجاء فى القرآن الكريم قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧﴾ ﴾

☆ مقومات النصر :

وجاء فى السيرة :(٢)

أن رسول الله – ﷺ – لما أتاه الخبر بمسير قريش ليمنعوا عيرهم استشار الناس فتكلم أبو بكر ، والمقداد بن عمرو وسعد بن معاذ وكلهم أعطى البيعة لرسول الله – ﷺ – على القتال معه والثبات دونه حتى يقضى الله أمره(٣) .

لكن ما جاء فى القرآن الكريم جاوز التفصيلات ليضع الأسس والمقومات العامة للنصر فى كل المعارك التى يخوضها المسلمون وخاصة إذا كان الاعداء ذوى تفوق ملحوظ كما كان الحال يوم بدر ، وقد حدد القرآن مجموعة من مقومات النصر لم تتجاوزها حتى الآن أحدث أساليب الحرب الحديثة من الثبات

---

(١) الأنفال : الآية ٧ .

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ٢٦٦ ، وابن كثير ج ٢ ص ٣٩١ – ٣٩٢ .

(٣) انظر تفصيل ما قيل وخاصة كلمتى : المقداد بن عمرو وسعد بن معاذ – رضى الله عنهما – فى ابن كثير ج ٢ ص ٣٩٤ وابن هشام ج ٢ ص ٢٦٧ . وفى المغازى للواقدى ج ١ ص ٤٩ وطبقات ابن سعد ج ٢ / ١٤ .

وعدم التراجع إلا لحيلة حربية وطاعة القيادة وعدم التنازع عليها بالإضافة إلى المقوم الإيماني الأكبر الذي هو ذكر الله والثقة بما عنده .

وذلك ما أشار إليه القرآن في قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ ﴾(١)

☆ ☆ ☆

وقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾(٢)

مواقع الفريقين يوم بدر :

جاء في السيرة :(٣)

أن المسلمين كانوا على بدر بالعدوة القريبة من المدينة ، وكان

---

(١) الأنفال : الآية ٤٥ – ٤٧ .

(٢) الأنفال : الآيات من ١٥ – ١٦ .

(٣) ابن هشام ج ٢ ص ٢٧٢ – ٢٧٣ ، وابن كثير ٢ / ٤٠٠ – ٤٠٢ ، والمغازي ١ / ٥٣ .

المشركون بالناحية الأخرى تجاه مكة ، وكانت العير التى خرج المسلمون لأخذها مما يلى الفريقين من ناحية الساحل .

وجاء من هذا فى القرآن قوله تعالى :(١)

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢)﴾

☆ ☆ ☆

☆ الحكمة الربانية فى يوم بدر :

جاء فى كتب السيرة :(٢)

أن المسلمين لما خرجوا للعير لم يكونوا طلاب حرب بقدر ماكانوا طلاب أنفال وغنيمة .

ولكن أراد الله أمراً آخر ، ولذا أرى الله رسوله - ﷺ - المشركين فى المنام قلة ليشجعه على قتالهم .. فلما التقى الجمعان أظهرهم كذلك فى أعين المشركين ، ليشجعهم على قتالهم ويصل أمر الله إلى غايته .

عن هذه الحالة جاء فى القرآن قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ

(١) الأنفال : الآية ٤٢ .

(٢) انظر ابن هشام ٢ - ٢٧٠ وما بعدها . وابن كثير ج ٢ ص ٤٠٦ .

مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾
إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ
وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾
وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ
لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾[1]

☆ ☆ ☆

وما رميت إذ رميت :

جاء فى السيرة :[2]

أن رسول الله - ﷺ - أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل قريشاً بها ثم قال :

شاهت الوجوه ، ثم نفخهم بها وقال لأصحابه ، شدُّوا فكانت الهزيمة .

وجاء عن ذلك فى القرآن قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾[3]

---

(١) الأنفال : ٤٢ - ٤٤ .
(٢) ابن هشام ج ٢ ص ٢٨٠ وابن كثير ٢ - ٤٢٠ - ٤٣٥ ، والمغازى ١ / ٨١ و ٩٥ .
(٣) الأنفال : الآية ١٧ .

☆ شهود الملائكة بدراً :

جاء فى السيرة :[1]

أن رسول الله - ﷺ - عدل الصفوف ورجع إلى العريش يناشد ربه النصر بدعائه المشهور :

« **اللهم إن تلك هذه العصابة اليوم لا تعبد** » ثم خفق خفقة وهو فى العريش ، ثم انتبه وقال لأبى بكر وكان معه :

« **أبشر آتاك نصرُ الله هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده ، على ثناياه النقع** » .

وفى السيرة أيضاً :[2]

أن اثنين من المشركين دنت منهما سحابة سمعوا منها حمحمة الخيل وقائلا يقول : أقدم حيزوم[3] .. الخ .

وجاء عن هذا فى القرآن قوله تعالى :

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾[4]

(١) ابن هشام ٢ / ٢٧٩ ، والمغازى ١ / ٧٧ وما بعدها ، والطبقات ٢ / ١٦ .

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ٢٨٥ .

(٣) حيزوم : اسم فرس جبريل عليه السلام كما ورد ، وانظر المغازى ١ / ٧٧ . (٤) الأنفال : آية ١٢ .

وقوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ
ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن
فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾
وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ
عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ (١)

☆ ☆ ☆

☆ حديث الغنائم :

وثمة أمور أخرى عالجها البيان القرآنى بعد غزوة بدر الكبرى ، ووضع لها الأسس الدائمة للتعامل بها فى المستقبل ، كما حدث مثلا فى أمر الغنائم حيث نزل فيه قوله تعالى :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟
ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ (٢)

---

(١) آل عمران ١٢٣ - ١٢٦ .

(٢) الأنفال : الآية الأولى ، وانظر المغازى ١ / ٩٨ وما بعدها .

ثم قوله تعالى :

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾ (١)

☆☆☆☆

حديث الأسرى يوم بدر :

جاء فى السيرة : (٢)

أن رسول الله - ﷺ - استشار أصحابه فى الأسارى يوم بدر فقال :

« إنّ الله قد أمكنكم منهم » .

قال : فقام عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فقال « يارسول الله اضربْ أعناقهم » قال : فأعرض عنه النبي - ﷺ - .

قال : ثم عاد النبى - ﷺ - فقال للناس مثل ذلك ، فقام أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - فقال :

يا رسول الله ؛ نرى أن تعفو عنهم وتقبل منهم الفداء .

---

(١) الأنفال : الآية ٤١ .

(٢) ابن كثير ج ٢ ص ٤٥٧ وما بعدها ، والمغازى ١ / ١٠٧ وما بعدها .

قال : فذهب عن وجه رسول الله - ﷺ - ما كان فيه من الغمّ ، فعفا عنهم وقبل منهم الفداء .

☆ ☆ ☆

عن هذا الحديث جاء قوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ
حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ
وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ
إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن
قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ (١)

وانتهى حديث بدر « المعركة » ليبدأ نصرها فى حياة الأمة .

(١) سورة الأنفال : الآيات ٦٧ - ٧١ .

☆ أمر بنى قينقاع :

جاء فى كتب السيرة :[1]

أن الرسول – ﷺ – بعد غزوة بدر –. قد جمعهم فى سوقهم ثم قال لهم :

« يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة ، وأسلموا ، فإنكم قد عرفتم أنى نبي مرسلٌ تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم » .

فقالوا : يا محمد ، لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبتَ منهم فرصةً ، أما والله لئن حاربناك لتعلَمَنَّ أنا نحن الناس .

عن هذا الحديث جاء فى القرآن قوله تعالى :

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾[2]

---

(١) انظر : ابن هشام ج ٣ ص ٥٠ – ٥١ ، وابن كثير ج ٢ ص ٥ – ٦ .

(٢) آل عمران : ١٢ – ١٣ .

سرية عبد الله بن جحش :

جاء فى السيرة :[1]

أن عبد الله بن جحش – رضي الله عنه – مضى بسريته حتى نزل بنخلة ، فمرت به عير لقريش تحمل زبيباً وأدماً[2] وتجارة لقريش .. وتشاور القوم أيتركونهم أم يقاتلونهم ، وذلك فى آخر يوم من رجب .. ثم شجعوا أنفسهم وقاتلوهم .. وأقبل ابن جحش بالعير والأسيرين على الرسول – ﷺ – فقال :

ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام فوقّف العيرَ والأسيريْنِ ، وأبى أن يأخذ شيئاً من ذلك .. وأُسقط فى أيدى القوم وأكثر الناس فيه .

وجاء فى القرآن عن ذلك قوله تعالى :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾ (٣)

---

(١) ابن هشام ج ٢ ص ٢٥٢ وانظر سيرة ابن كثير ج ٢ ص ٣٦٦ وطبقات ابن سعد جج ٢ / ١٠ والمغازى ١ / ١٣ – ١٩ .

(٢) الأدم : الجلد .

(٣) البقرة : من الآية ٢١٧ .

غزوة أحد :

جاء فى السيرة :[1]

قال ابن إسحاق : فاجتمعت قريش لحرب رسول الله - ﷺ - وخرجت بجدها وحديدها وأحابيشها ومن تابعها .. وخرجوا معهم بالظُّعُن التماس الحفيظة وألا يفرُّوا .. وشاور الرسول - ﷺ - القوم، ولم يكن به رغبة للحرب ، ولكن لم يزل الناس به حتى دخل بيته ولبس لامته فلما خرج عليهم قالوا يا رسول الله :

استكْرَ هُناك ، ولم يكن ذلك لنا فإن شئت فاقعد صلى الله عليك .

فقال - صلوات الله عليه - : « **ما ينبغى لنبيٍّ إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل** » .

قال : ومضى رسول الله - ﷺ - حتى نزل بالشعب من أحد ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد وقال : « **لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال** » .

وأمّر على الرماة عبد الله بن جبير أخا بنى عمرو بن عوف وقال له : « **انْضح الخليل عنا بالنبل ، لا يأتوننا من خلفنا . إن كانت لنا أو علينا ، فاثبت مكانك ، لا نؤتَيَنّ من قبلك** » .

---

(1) ابن هشام ج ٣ ص ٦٤ - ٦٨ ، وابن كثير ج ٣ ص ١٨ - ٢١ ، والمغازى ١ / ١٩٩ - ٢٣٤ .

عن هذا يقول القرآن الكريم :

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ ﴾(١)

ونلاحظ عموم الاشارة دون تفصيل ، لكنها الاشارة التى تغنى عن كثير ، وكأنه قيل : قد حدد القائد لكل مسئوليته لكن بعضهم أخطأ فكانت الهزيمة .

☆ ☆ ☆

انخذال المنافقين(٢) :

فى السيرة :

« فخرج رسول الله – ﷺ – فى ألف من أصحابه حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأحد انخذل عنه عبد الله بن أُبيّ بن سلول بثلث الناس وقال : أطاعهم وعصاني ، وما ندري علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس » .

عن هذا جاء فى القرآن قوله تعالى :

﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَٰتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ

---

(١) آل عمران ١٢١ .

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ٦٨ وابن كثير ج ٣ ص ٢١ وما بعدها وطبقات ابن سعد والمغازى ج ١ .

هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي
قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ
أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٦٨) ﴾ (١)

وفى السيرة كذلك :(٢)

قال ابن هشام : إن بنى سلمة بن جشم من الخزرج ، وبنى حارثة بن النبت من الأوس وهما الجناحان همّا أن يفشلا ، وكان ذلك منها عن ضعف ووهن .

عن هذا جاء فى القرآن قوله تعالى :

﴿ إِذْ هَمَّت
طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢) ﴾ (٣)

☆ ☆ ☆

☆ ذكر ما أصاب المسلمين وتعزيتهم عنه :

قال ابن إسحاق :(٤) وهو يشرح بعض ما نزل فى أحد من القرآن :

---

(١) آل عمران ١٦٧ – ١٦٨ .

(٢) بن هشام ج ٣ ص ١١٢ وابن كثير ج ٣ والمغازى (١) .

(٣) آل عمران ١٢٢ .

(٤) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١١٦ ، وابن كثير .

ثم استقبل ذكر المصيبة التى نزلت بهم والبلاء الذى أصابهم والتمحيص لما كان فيهم ، واتخاذ الشهداء منهم . فقال تعزية لهم وتعريفاً لهم فيما ضنعوا وفيما هو صانع بهم :

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ
إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ
وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ
شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ
الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا
مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ
فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (١)

☆ ☆ ☆

☆ ذكر شجاعة المجاهدين :

﴿ وَكَأَيِّن مِّن
نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا
ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن

---

(١) آل عمران : الآيات ١٣٩ - ١٤٣ .

﴿ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨) ﴾ (١)

☆ ☆ ☆

☆ . التحذير من طاعة الكفار والربط على القلوب :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (١٥١) ﴾ (٢)

☆ ☆ ☆

التذكير بصدق وعد الله وتحميل المخالفين تبعة الهزيمة :

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) ﴾ (٣)

---

(١) آل عمران : ١٤٦ - ١٤٨ . (٢) آل عمران : ١٤٩ - ١٥١ . (٣) آل عمران : الآية ١٥٢ .

تأنيب الفارين عن القتال :

﴿ * إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (١)

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾ (٢)

☆ ☆ ☆

المؤمنون والمنافقون فى ساعة العسرة :

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ

---

(١) آل عمران : الآية ١٥٣ .   (٢) آل عمران : ١٥٥ .

ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ
وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ (١)

☆ ☆ ☆

أتخافون الموت فى سبيل الله ؟

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ
حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾
وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (٢)

حديث عن الهزيمة - سببها والحكمة فيها : (٣)

﴿ أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ
عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى
ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ

---

(١) آل عمران ١٥٤ .
(٢) آل عمران ١٥٦ - ١٥٨ .
(٣) آل عمران : ١٦٥ - ١٦٨ .

لَهُمْ تَعَالَوْا قَٰتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ
هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي
قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ
أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾

☆ ☆ ☆

مصير الشهداء :

جاء فى السيرة :[1]

روى ابن إسحاق بسنده إلى ابن عباس - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال :

« لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خُضر ، ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديلَ من ذهب فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم ، قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا ، لئلا يزهدوا فى الجهاد ، ولا ينكلوا عن الحرب . فقال الله تعالى فأنا أبلغهم عنكم .

---

(١) ابن هشام ج ٣ ص ١٢٦ ، وابن كثير ج ٣ ص ٨٥ وما بعدها .

وفى القرآن يأتى هذا البلاغ فى قوله تعالى : (١)

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾

☆ ☆ ☆

الخروج إلى حمراء الأسد :

قال ابن إسحاق : (٢)

فلما كان الغد (غداة أحد) لست عشرة ليلة مضت من شوال أذّن مؤذن رسول الله - ﷺ - فى الناس بطلب العدوّ ، وأذّن مؤذنه ألاّ يخرجن معنا أحدٌ إلا أحَدٌ حضر يومنا بالأمس .

فخرج رسول الله - ﷺ - حتى انتهى إلى حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

جاء عن هذا فى القرآن قوله تعالى :

---

(١) آل عمران : ١٦٩ - ١٧١ .

(٢) ابن كثير ج ٣ ص ٩٧ ، وابن هشام ج ٣ ص ١٠٧ والمغازى ١ / ٣٣٤ .

﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ (١)

☆ ☆ ☆

سرية الرجيع :

فى كتب السيرة(٢) تفصيل كثير عن حديث يوم الرجيع ، وعن الغدر الخزي من ذلك الرهط من عضل والقارة الذين غدروا بالنفر الذين بعثهم رسول الله - ﷺ - معهم فقتلوا مرثداً ، وابن البكير ، وعاصماً ، وزيد بن الدثنة ، وخبيب بن عدي .

وكان للغدر الذى وقع بهذه السرية أثره على المشركين والمنافقين الذين قالوا :

« يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا (هكذا) لا هم قعدوا فى أهليهم ولا هم أدوا رسالة صاحبهم » .

---

(١) آل عمران ١٧٢ - ١٧٥ .

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ١٨٧ وما بعدها وفى المغازى ١ / ٣٥٤ - ابن كثير ج ٣ ص ١٢٣ - ١٣٢ .

وعن شهداء الرجيع من أصحاب الرسول - ﷺ - يقول القرآن :
﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ (١)

عن موقف هؤلاء المنافقين وشماتتهم بأصحاب الرجيع يقول القرآن فى قوله تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ (٢)

☆ ☆ ☆

إجلاء بنى النضير :

قال ابن إسحاق فى السيرة ما خلاصته :(٣)

ثم خرج رسول الله - ﷺ - إلى بنى النضير يستعينهم فى دية رجلين قتلهما عمرو بن أمية الضميرى ، فلما أتاهم رسول الله -

(١) البقرة : الآية ٢٠٧ .
(٢) البقرة الآية : ٢٠٤ - ٢٠٦ .
(٣) ابن هشام ج ٣ ص ١٩٩ ، وابن كثير ج ٣ ص ١٢٣ - ١٤٥ . والمغازى ١ / ٣٦٣ - ٣٨٠ .

ﷺ - اظهروا التودد له ، وقالوا : نعينك يا أبا القاسم بما أحببت .

ثم خلا بعضهم إلى بعض ورأوها فرصة سانحة للتخلص من الرسول حيث يعلو أحدهم الجدار الذى كان يجلس إليه ثم يلقى عليه صخرة قاتلة .

هكذا تآمروا ولكن الله بعث إليه جبريل - عليه السلام - يخبره بما عزم عليه القوم فمضى عنهم .

وعن حديث التآمر يقول القرآن :

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠) ﴾ (١)

وعن بنى النضير وما تم من إجلائهم يقول القرآن فى سورة الحشر : (٢)

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ

(١) الأنفال : الآية ٣٠ .   (٢) الحشر : الآيات ٢ - ٤

وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ ﴾

وجاء في السيرة :(١)

أن القوم لما حاصرهم الرسول امتنعوا فى حصونهم فأمر الرسول - ﷺ - بقطع نخيلهم فقالوا : كنت تنهانا عن الفساد وتفعله .

عن هذا يقول القرآن :

﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾(٢)

تحريض المنافقين لهم على المقاومة :

قال ابن إسحاق (٣) وكان رهط من بنى عوف بن الخزرج منهم عدو الله عبد الله بن أُبَيّ بن سلول وآخرون ، قد بعثوا إلى بنى النضير أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم إذا قوتلتم قاتلنا معكم ،

---

(١) ابن هشام ج ٣ ص ٢٠٠ . (٢) الحشر : الآية ٥ . (٣) ابن هشام ج ٢ ص ٢٠٠ .

وإن أخرجتم خرجنا معكم .. فتربصوا ذلك منهم فلم يفعلوا وقذف الله في قلوبهم الرعب .

عن هذا يقول القرآن :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (11) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (12) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (13) ﴾ (1)

☆ ☆ ☆

☆ فيء بلا قتال :

قال ابن إسحاق (2)

وسألوا رسول الله - ﷺ - أن يجليهم ويكف عن دمائهم ، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة (السلاح) ففعل ، فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل . فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام .

---

(1) الحشر : الآيات 11 - 13 .

(2) ابن هشام ج 3 ص 201 .

وعن هذا يقول القرآن :

﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١)

☆ تقسيم فيئهم على المهاجرين دون الأنصار :

قال ابن إسحاق :(٢)

وخلوا الأموال فكانت لرسول الله - ﷺ - خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار. إلا أن سهل بن أبي حنيف ، وأبا دجانة ذكرا فقراً فأعطاهما - ﷺ - .

وعن هذا جاء في القرآن :(٣)

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ

---

(١) الحشر : الآية ٦ . (٢) ابن هشام ج ٣ ص ٢٠٢ . (٣) الحشر : الآيات ٨ - ٩ .

حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

صلاة الخوف في ذات الرقاع :

قال ابن إسحاق :[1]

وغزا رسول الله – ﷺ – نخلا[2] يريد بنى محارب ، وبنى ثعلبة من غطفان ولقي بها جمعاً عظيماً ، فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب ، ولكن خاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى رسول الله – ﷺ – صلاة الخوف ، ثم انصرف .

وعن صلاة الخوف هذه يقول القرآن :

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ ۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ

---

(١) ابن هشام ج ٢ ص ٢١٤ – ٢١٥ ، ابن كثير ج ٣ ص ١٦٠ – ١٦١ .

(٢) اسم مكان .

فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ [(١)]

☆ ☆ ☆

غزوة الخندق (الأحزاب)

☆ دور اليهود فى التحريض :

جاء فى السيرة[(٢)]:

أن نفراً من يهود منهم سلام بن أبى الحقيق وأخوه كنانة ، وحُيَيّ بن أخطب ، ونفر من بنى النضير ، ونفر من بنى وائل هم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول - ﷺ - حتى قدموا على قريش بمكة .. فلما سألتهم قريش بالذى يعلمون : أديننا خير أم دين محمد ؟ .. قالوا : بل دينكم خير من دينه .. وفعلوا مثل ذلك بغطفان .. فخرجت قريش وغطفان يقصدون المدينة .

---

(١) النساء : ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ، وابن كثير ج ٣ ص ١٧٨ والمغازى ٢ / ٤٤٠ - ٤٨٠ .

عن هذا يقول القرآن :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (٥٣) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا (٥٤) ﴾(١)

☆ ☆ ☆

حفر الخندق :

قال ابن إسحاق :(٢)

فلما سمع بهم رسول الله - ﷺ - وبما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة ، وعمل فيه الرسول - ﷺ - ترغيباً للمسلمين فعملوا معه ودأب ودأبوا .

وأبطأ عن ذلك رجال من المنافقين كانوا يوارون بالضعيف من العمل ويتسللون إلى أهليهم بغير علم من الرسول ولا إذن منه - ﷺ - .

---

(١) النساء : الآيات ٥١ - ٥٤ .

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ ، وابن كثير ج ٣ ص ١٨٦ والمغازي ٢ / ٤٤٩ .

فى هذا يقول القرآن : (١)

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾

☆ ☆ ☆

☆ اشتداد الأمر على المسلمين :

قال ابن إسحاق : (٢)

وعظم عند ذلك البلاء على المسلمين واشتدّ الخوفُ وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن .

---

(١) سورة النور : الآيتان ٦٢ - ٦٣ .

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ٢٣٣ ، وابن كثير ج ٣ ص ٢١٣ .

عن هذا يقول القرآن :

﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ (١)

☆ ☆ ☆

☆ **النفاق يعلن عن نفسه :**

قال ابن إسحاق : (٢)

ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن أن يذهب إلى الغائط . (وتنسب المقالة لغيره) .

عن هذا يقول القرآن :

﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ (٣)

---

(١) الأحزاب : الآيتان ١٠ – ١١ .
(٢) ابن هشام ج ٣ ص ٢٣٧ ، والمغازى ج ٢ ص ٤٥٩ وما بعدها .
(٣) الأحزاب : الآية ١٢ .

رغبة المنافقين فى الفرار بانتحال الأعذار :

قال ابن إسحاق : وقال أوس بن قيظى أحد بني حارثة بن الحارث : يا رسول الله إن بيوتنا عورة من العدو فأذن لنا أن نخرج فنرجع فإنها خارج المدينة ، وذلك على ملأ من قومه .

عن هذا يقول القرآن :

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ
يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ
يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾
وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟
بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ
وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ
أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم
مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ (١)

(١) الأحزاب : الآيات ١٣ - ١٧ .

☆ دعاة الهزيمة والتخذيل عن القتال :

فى السيرة حديث مفصل عما قام به عدو الله حُيَيّ بن أخطب فى تخذيل بنى قريظة ، وحملهم على نقض ما كانوا عاهدوا الرسول - ﷺ - عليه .. وما أدى إليه ذلك من فتنة ، وما فتّ فى عضد الناس وزاد المشقة عليهم ، حتى هَمّ رسول الله - ﷺ - بعد ما اشتد البلاء وبرز النفاق أن يعقد صلحاً مع غطفان .

عن موقف هؤلاء المعوقين يقول القرآن :

﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ ﴾ (١)

---

(١) الأحزاب : الآيات ١٨ – ٢٠ .

موقف المؤمنين في المحنة :

فى السيرة : أنه لما اشتد البلاء على الناس همّ رسول الله - ﷺ - أن يعقد الصلح مع غطفان على أن يكون لهم ثلث ثمار المدينة .. ولما استشار سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة زعيمي الأنصار قالا له :

« يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً .. أفحين أكرمنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

عن هذا يقول القرآن : ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ (١)

☆ ☆ ☆

نهاية الأحزاب وارتحالهم عن المدينة :

قال ابن إسحاق : (٢)

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس - وكان من صنع الله لرسوله - ﷺ - ان أرسل أبو سفيان بن حرب ، ورؤوس

---

(١) الأحزاب : الآية ٢٢ .

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ٢٤١ والمغازى ج ٢ ص ٤٩٦ .

ـطفان إلى بنى قريظة ، عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم :

إنا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخف والحافر ، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ، ونفرغ مما بيننا وبينه ، فأرسلوا إليهم أن اليوم سبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً .. ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا .

ورفض القرشيون والغطفانيون أن يعطوا الرهن ، وخذل الله بينهم ، وبعث عليهم الريح تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم .. فارتحلوا .. وعاد المسلمون إلى المدينة .

عن هذا يقول القرآن : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [1]

غزوة بنى قريظة :

فى السيرة : [2]

وأذّن مؤذن الرسول فى الناس - بعد انصراف الأحزاب - « من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصرَ إلا فى بني قريظة .

---

(١) الأحزاب : الآية ٢٥ .

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ٢٤٤ - ٢٦٦ .

وحاصرهم رسول الله - ﷺ - خمساً وعشرين ليلة . جهدهم الحصار، وقذف الله فى قلوبهم الرعب .

ثم بعثوا إلى رسول الله - ﷺ - أن يبعث إليهم أبا لُبابة يستشيرونه فى موقفهم فبعثه إليهم وكانت له قصة - ليس هذا مقام تفصيلها - وأخيراً ارتضوا أن يحكم فيهم سعد بن معاذ فقال سعد :

فإنى أحكم فيهم أن تُقْتَلَ الرجال وتُقسم الأموالُ، وتُسبَى الذرارى والنساء .

عن هذا يقول القرآن :

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ (١)

☆ صلح الحديبية وبيعة الرضوان :

فى كتب السيرة عن صلح الحديبية وبيعة الرضوان حديث طويل مفصل يبلغ عشرين صفحة فى آخر الجزء الثالث من سيرة

(١) الأحزاب : ٢٦ - ٢٧.

ابن هشام .. وفى مغازى الواقدى أكثر من ستين صفحة وافية بما لم يف به الآخرون فليرجع إليها من شاء .

أما حديثها فى القرآن فهذا تفصيله : رؤيا رسول الله - ﷺ -

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ (١)

☆ ☆ ☆

☆ المخلفون من الأعراب :

قال ابن إسحاق(٢) :

وكان رسول الله - ﷺ - قد استنفر العرب ، ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش الذى صنعوا أن يعرضوا له بحرب ، أو يصدوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب .

عن تخلف الأعراب جاء فى القرآن :

---

(١) الفتح : الآية ٢٧ .

(٢) وانظر المغازى ٢ / ٥٧٤ .

﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ (٢)

---

(١) الفتح : الآية ١١ – ١٢ .

(٢) الفتح : الآية ١٥ – ١٦ .

بيعة الرضوان :

قال ابن إسحاق :[1]

إن رسول الله - ﷺ - قال : حين بلغه أن عثمان قد قتل لا نبرح حتى نناجز القوم ، فدعا رسول الله - ﷺ - الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة . قال ابن هشام : عن ابن عمر أن رسول الله - ﷺ - بايع لعثمان فضرب بإحدى يديه على الأخرى .

عن هذه البيعة يقول القرآن :

﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [2]

---

(١) ابن هشام ج ٣ ص ٣٢١ - ٣٢٥ ، والمغازى ٢ / ٥٧٩ ، ٥٩٤ .

(٢) الآيات ١٨ - ٢١

☆ إصرار قريش على منع الرسول من دخول مكة :

في السيرة :[1]

أن رسول الله - ﷺ - عندما وصل عسفان في طريقه إلى مكة لقيه بشر بن سفيان الكعبي فحدثه عما أعدت له قريش لتمنعه من دخول مكة .. فقال - ﷺ - : يا ويح قريش ، قد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب .. ثم قال - ﷺ - : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟

عن هذا يقول القرآن :

﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾[2]

---

(١) ابن هشام ج ٣ ص ٣٢١ - ٣٢٥ ، والمغازي ٢ / ٥٧٩ ، ٥٩٤ ؛

(٢) الفتح : الآيتان ٢٥ - ٢٦ .

الهدنة :

قال ابنْ إسحاق[1] .

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بنى عامر بن لؤى إلى رسول الله - ﷺ - وقالوا له : ائت محمداً فصالحه ، فلما انتهى سهيل إلى رسول الله - ﷺ - أطال الكلام وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح .

إلى هذا يشير القرآن فى قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [2]

☆ ☆ ☆

الفتح المبين :

يقول الزهري :[3]

فما فتح فى الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، ووضعت الحرب وآمن الناس بعضهم بعضا ، والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ، ولقد

---

(١) ابن هشام ج ٢ ص ٣٣١ ، والمغازى ٢ / ٦٠٥ .

(٢) الفتح : الآية ٢٤ .

(٣) ابن هشام ج ٢ ص ٣٣٦ ، وطبقات ابن سعد ٢ / ١٣٤ .

دخل فى تينك السنتين مثل من كان فى الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

إلى هذا يشير القرآن فى قوله :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ ﴾ (١)

☆ ☆ ☆

☆ إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات :

قال ابن إسحاق :(٢)

وهاجرت إلى رسول الله - ﷺ - أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط فى تلك المدة ، فخرج أخواها عمارة ، والوليد حتى قدما على رسول الله - ﷺ - يسألانه أن يردها عليهما بالعهد الذى بينه وبين قريش فى الحديبية فلم يفعل .

---

(١) الفتح : ١ - ٤ .

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ٢٤٠ .

عن هذا جاء فى القرآن :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠ ﴾ (١)

☆ ☆ ☆

☆ العائدون من المهجر :

قال ابن إسحاق : (٢)

وكان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله - ﷺ - حتى بعث فيهم رسول الله - ﷺ - إلى النجاشى عمرو بن أمية الضمري ، فحملهم فى سفينتن فقدم بهم عليه ، وهو بخيبر بعد الحديبية .

---

(١) الممتحنة : الآية ١٠ .

(٢) ابن هشام ج ٤ ص ٣ .

عن هذا جاء فى القرآن :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ (١)

قال ابن عباس فيما رواه عطاء والكلبي : نزلت فى أصحاب السفينة الذين أقبلوا مع جعفر بن أبى طالب من أرض الحبشة وكانوا أربعين رجلا .

ويروي النيسابوري فى أسباب النزول : (٢)

أن قوله تعالى :

﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (٣)

نزلت فيما دار بين المهاجرين إلى الحبشة من أصحاب الرسول – صلوات الله عليه – وبين طالبيهم من كفار مكة ليثأروا بهم مما أصيبوا به فى بدر ، وكان الحوار فى حضرة النجاشى ملك الحبشة آنذاك .. الذى سمع من مهاجرى المسلمين ما أثلج صدره عن الإيمان بعيسى ومريم وإبراهيم عليهم السلام .

---

(١) البقرة : الآية ١٢١ . (٢) أسباب النزول ص ٦٨ . (٣) آل عمران : الآية ٦٨

☆ حدث قبل فتح مكة :

في السيرة :[1]

أن رسول الله - ﷺ - لما أجمع السير إلى مكة ، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم فيه بما أجمع الرسول عليه وأعطاه امرأة وجعل لها جعلاً إن أوصلته لقريش .

وأتى رسول الله - ﷺ - الخبر من السماء .. فلما سأل حاطبا عما فعل قال : « أما والله أني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ، ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم أهل وولد فصانعتهم عليه .

عن هذا يقول القرآن :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝ ﴾ [2]

---

(1) ابن هشام ج ٤ ص ٤٠ ، وما بعدها ، وابن كثير ج ٣ ص ٥٣٦ ، والمغازي ٢ / ٧٩٧ وما بعدها .
(٢) الممتحنة / ١ .

إلى قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ (١)

☆ ☆ ☆

يوم حنين :

قال ابن إسحاق :(٢)

ثم خرج رسول الله - ﷺ - ومعه ألفان من أهل مكة وعشرة آلاف من أصحابه ، فكانوا اثنى عشر ألفاً . ثم مضوا يريدون لقاء هوازن .

وقال :(٣) وحدثني بعض أهل مكة أن رسول الله - ﷺ - حين خرج إلى حنين قال أحد أصحابه لما رأى كثرة من معه من جنود الله : لن نغلب اليوم من قلة .

---

(١) الممتحنة ١ - ٤ .

(٢) ابن هشام ج ٤ ص ٨٠ وابن كثير ج ٣ ص ٦١٠ وطبقات ابن سعد ٢ / ١٤٩ .

(٣) ابن هشام ج ٤ ص ٨٧ .

قال ابن إسحاق :

وزعم بعض الناس أن الذى قالها رجل من بكر .

عن غزوة حنين وما أحاط بها من هزيمة وثبات .. ثم نصر ..
تقول الآيات الكريمة :

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ (١)

☆ ☆ ☆

ائذن لى ولا تفتنى :

فى السيرة :(٢)

لما تهيأ رسول الله - ﷺ - لغزوة تبوك(٣) قال : وهو فى جهازه للجد بن قيس .. يا جد .. **هل لك العام فى جلاد بنى**

---

(١) التوبة : ٢٥ - ٢٧ . (٢) ابن هشام ج ٤ ص ١٥٩ . (٣) الطبقات ج ٢ / ١٦٥

الأصفر ؟ فقال يا رسول الله .. أو تأذن لى ولا تفتنى ؟ فوالله لقد عرف قومى أنه ما من رجل أشد عجباً بالنساء منى ؟ وأنى أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر أن لا أصبر ، فأعرض عنه رسول الله - ﷺ - وقال : أذنت لك .

عن هذا يتحدث القرآن فى قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (١)

☆ ☆ ☆

☆ لا تنفروا فى الحر :

فى السيرة :(٢)

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض لا تنفروا فى الحر ، زهادة فى الجهاد وشكا فى الحق وإرجافا برسول الله - ﷺ - .

عن هذا يقول القرآن : (٣)

﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن

---

(١) التوبة : الآية ٤٩ . (٢) ابن هشام ج ٤ ص ١٦٠ . (٣) التوبة : ٨١ - ٨٤ .

رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

☆ ☆ ☆

البكاؤون :

قال ابن إسحاق :(١)

ثم إن رجالا من المسلمين أتوا رسول الله - ﷺ - وهم البكاؤون وهم سبعة نفر من الأنصار فاستحملوا رسول الله - ﷺ - وكانوا أهل حاجة فقال : « لا أجد ما أحملكم عليه ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا » .

عن هؤلاء يقول القرآن :

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (٢)

(١) ابن هشام ج ٤ ص ١٦١ وما بعدها .

(٢) التوبة : الآيات ٩١ - ٩٢ .

غزوة العسرة :

في السيرة :[1]

أن رسول الله - ﷺ - أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم وذلك في زمان من عسرة الناس وشدة من الحر، وجدب من البلاد، وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص على الحال وفي الزمان الذى هم عليه .

عن هذا تقول الآيات الكريمة :[2]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ

---

(١) ابن هشام ٤ ص ١٥٩ .

(٢) التوبة : الآيات ٣٨ - ٤١ .

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾
ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ
ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

☆ ☆ ☆

المعذرون من الأعراب[1]

قال ابن إسحاق :

وجاءه المعذرون من الأعراب فاعتذروا إليه فلم يعذرهم الله تعالى ، وقد ذكر لى أنهم نفر من بنى غفار .

عن هذا تقول الآيات الكريمة :

﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ
لَهُمْ ۚ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ ﴾[2]

☆ ☆ ☆

☆ لو خرجوا فيكم :

قال ابن إسحاق :[3]

وضرب عبد الله بن أبى عسكره على حدة أسفل منهم نحو

(١) ابن هشام ج ٤ ص ١٦٢ .
(٢) التوبة : الآية ٩٠ .
(٣) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ١٦٢ وما بعدها .

ذياب (جبل بالمدينة) وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين ، فلما سار رسول الله - ﷺ - تخلف عنه ابن أبى فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب .

عن هذا تقول الآيات الكريمة :

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (٢)

---

(١) التوبة : الآية ٤٢ .

(٢) التوبة الآية : ٤٧ - ٤٨ .

الثلاثة الذين خلفوا :

قال ابن إسحاق :[1]

وقدم رسول الله – ﷺ – المدينة وكان قد تخلف عنه رهط من المنافقين ، وتخلف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق : كعب بن مالك ، مرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، فقال رسول الله – ﷺ – لأصحابه : **لا تكلمن أحداً من هؤلاء الثلاثة .**

وحديثهم فى السيرة طويل :

عن هؤلاء الثلاثة تقول الآيات الكريمة :

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[2]

---

(١) ابن هشام ج ٤ ص ١٧٥ .

(٢) التوبة : الآيتان ١١٧ – ١١٨ .

اعتذار المخلفين من المنافقين :

قال ابن إسحاق :[1]

وأتاه من تخلف من المنافقين فجعلوا يحلفون له ويعتذرون فصفح عنهم رسول الله - ﷺ - ولم يعذرهم الله ولا رسوله .

عن هذا تقول الآيات الكريمة :

﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾[2]

إلى قوله :

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ

---

(١) ابن هشام ج ٤ ص ١٧٦ . (٢) التوبة : الآيات ٩٤ – ٩٦ .

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾(١)

☆ ☆ ☆

اليوم أكملت لكم دينكم :

قال ابن إسحاق :(١)

« لما كان يوم الاثنين : خرج رسول الله - ﷺ - عاصباً رأسه إلى الصبح ، وأبو بكر يصلى بالناس .. قال : فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس فكلمهم رافعاً صوته حتى خرج صوته من باب المسجد يقول : أيها الناس ، سعرت النار ، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، وإنى والله ما تمسكون عليّ بشيء ، إنى لم أحل إلا ما أحل القرآن ، ولم أحرم إلا ما حرم القرآن .

---

(١) التوبة : الآيتان ١٢٠ - ١٢١ .

(٢) ابن هشام ج ٤ ص ٦٥٣ ط الحلبي وطبقات ابن سعد ٢ / ١٧٢ .

وقالت عائشة : رجع إلىّ رسول الله - ﷺ - فى ذلك اليوم حين دخل من المسجد فاضطجع فى حجري .. قالت ووجدت رسول الله - ﷺ - يثقل فى حجرى فذهبت أنظر فى وجهه فإذا بصره وقد شخص وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة .

قالت : فقلت : خيرت فاخترت والذى بعثك بالحق .. قالت : وقبض رسول الله - ﷺ - .

عن هذه النهاية وما صحبها وما أعقبها يقول القرآن :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (١)

ويقول :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ (٢)

صدق الله العظيم

(١) المائدة آية ٣ .

(٢) آل عمران : الآية ١٤٤



المحتويات

فهرس

الصفحة

رقم الايداع بدار الكتب ١٠٧٠٠ / ١٩٩٨

I.S.B.N 977 - 01 - 5876 - 3

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب











ومازال نهر العطاء يتدفق، تتفجر منه ينابيع المعرفة والحكمة من خلال إبداعات رواد النهضة الفكرية المصرية وتواصلهم جيلاً بعد جيل. ومازلنا نتشبث بنور المعرفة حقاً لكل إنسان ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة فى كل بيت.

شبَّت التجربة المصرية «القراءة للجميع» عن الطوق ودخلت «مكتبة الأسرة» عامها الخامس يشع نورها ليضىء النفوس ويثرى الوجدان بكتاب فى متناول الجميع ويشهد العالم للتجربة المصرية بالتألق والجدية وتعتمدها هيئة اليونسكو تجربة رائدة تحتذى فى كل العالم الثالث، ومازلت أحلم بالمزيد من لآلىء الإبداع الفكرى والأدبى والعلمى تترسخ فى وجدان أهلى وعشيرتى أبناء وطنى مصر المحروسة، مصر التاريخ، مصر العلم والفكر والحضارة.

مكتبة الأسرة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨

مائة وخمسون قرشاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب